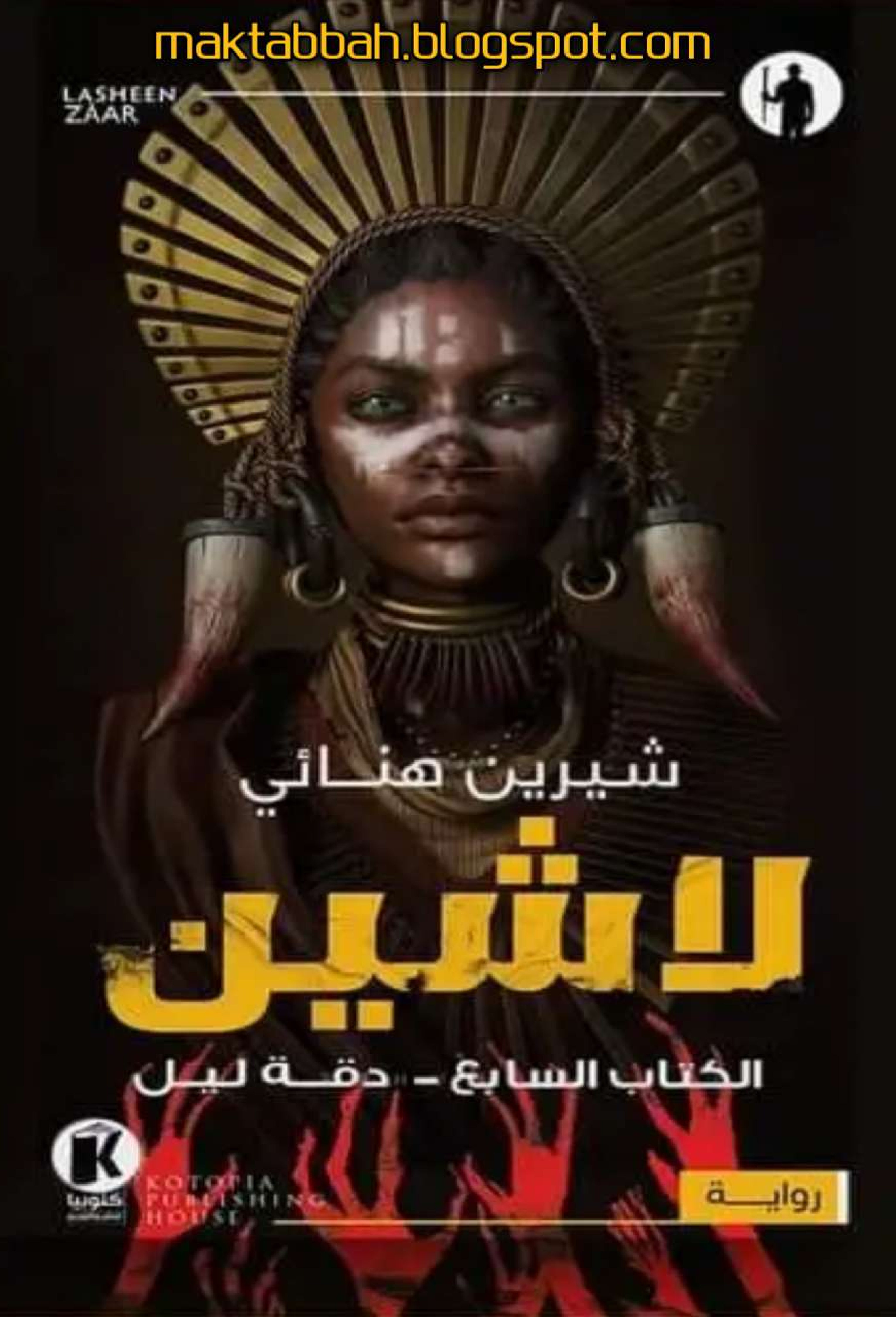

maktabbah.blogspot.com
LASHEEN
ZAAR
شيرين هنائي
لاشين
الكتاب السابع - دقة ليل
KOTOPIA
PUBLISHING
HOUSE
كتوبيا
رواية

الفصل الأول

-1-

البحيرة- ٢٠٢٢

أوقف سيارتي تحت المنزل الأبيض ذي النوافذ الزرقاء. الليل قد حل، ولا أسمع صوتًا إلا عواء كلاب بعيدة، وصوت القطط إذ تموء وتتحلق حول سيارتي.

اللعنة..

لو كنت قادرًا الآن على الانتقال الفوري من مكان لآخر لما احتجت إلى القيادة حتى منزل شيرين هنائي. لطالما كنا نحدد موعد اللقاء هاتفيًا، ثم أنتقل إلى صالون بيتها مباشرة حيث تستقبلني وزوجها دون الحاجة للتعرض إلى عدد الحيوانات الأليفة المهول التي تربيها، خاصة القطط.

أترجل وأنظر حولي إلى المزرعة المظلمة. مكان مثالي لكتابة قصص الرعب، ولاستقبال الشياطين كذلك.

بعد أن تخلصت بأعجوبة من القطط التي تسلقت بنطالي وراحت تخمش وجهي، جلست أشرب القهوة في الصالون، وجلست هي تسمع مني ما أريد حكيه في الكتاب التالي.

- مهندس لاشين، كيف فقدت قدراتك الشيطانية؟ لم تخبرني!

- لم أفقدها كلها، بل فقدت القدرات الأقوى فقط.. فقدت الطاقة التي تمكنني من تفتيت ذراتي ونقلها ثم تجميعها مرة أخرى. فقدت قدرتي على السفر العقلي عبر الزمن ومعايشة الماضي. لكن طالما لم أفقد قدرتي على التهام الشياطين، فأنا بخير.

- وكيف فقدت هذا الجزء؟

أحكي لها حين عرفت من سهير رغبتها في السفر إلى الولايات

المتحدة لحضور الاختبار العملي للوسطاء الروحانيين في متحف حاملة الطائرات الأمريكية يو إس إس هورنيت، وأقنعتها أنني سأمول رحلتها فقط لأننا شريكان في العمل ضد الشياطين لا أكثر. لكني كنت أريد أن أرى سهير تفعل ما تحب، وتبرع فيه. كنت أحب أن أشاهد طفلتي تركب الدراجة وتبتعد إلى الأفق، ولا يصلني سوى ضحكاتها .

لذا، انتقلت أنا وسافرت هي بالطائرة، وتقابلنا مع بروفيسور لويد أويرباك وأربعة وسطاء آخرين. وحين بدأ الاختبار المعتاد الذي قاموه به عشرات المرات في حاملة الطائرات المسكونة، انقلب كل شيء وصرنا جميعًا في خطر مميت.. بسببي..

وجودي كشف سر المكان المسكون منذ الحرب العالمية الثانية، منذ ضربه إعصار غامض خلط عالمي الشياطين والبشر للحظات، لكنها كانت كافية لجعل حاملة الطائرات مسكونة إلى الأبد. ولم يكن أمامي سوى أن أنفي تهمة الأنانية التي رمتني بها سهير، وأحاول فصل العالمين عن طريق إهدار جزء من طاقتي العزيزة.

قلت لشيرين:

- لم يخرج أيٌ منا كما دخل، فقدت جزءًا من طاقتي، وفقد مركز جوزيف بانكس راين وسيطة روحانية بارعة، وفقدت سهير سلامها النفسي حين تعرضت لما رأته هناك. لقد اضطرت إلى استخدام مستوى آخر من قدراتها، يتيح لها رؤية عالم الظلمات بلا كاميرا..

- هل ندمت على تشجيعها على هذا الاختبار؟

- وهل هذا سؤال مهم في وظيفتك ككاتبة أملي عليها مغامراتي؟

- أنت تملي عليّ مغامراتك، وأنا أعيد صياغتها أدبيًا. لا بد أن أعرف بما شعرت وقتها كي أحدد ما سأكتب.

- أنا من يحدد مقدار ما يعرفه القراء لا أنت.

- أنا من يحدد يا «باشمهندس». هذه وظيفتي. هناك برامج كتابة تستطيع أن تملي عليها ما تريد وستكتبه بأسلوبك. قد توصل حكاياتك ما حدث لذهن القارئ، لكنها ستظل أحداثًا بلا قلب، لن يفهم منها أحد دوافعك أو دوافع باقي الشخصيات. لن تصير رواية مهما حاولت.

لقد سئمت -منذ زمن- التعامل مع شيرين، خاصة مع تلك المصطلحات الأدبية التي تظن أنها ستفحمني بها. هي على صلة ما بسهير، وهي تعرف أن تلك الصلة هي ما تمنعني من خنقها وقططها، أو على الأقل سحب كتابة حكاياتي منها.

- الذكاء الصناعي يتطور يا أستاذة.. وقريبًا سيريحني -وربما يريحك- من كل هذا العناء.

- ربما. لكن حتى يُريحنا.. أنت مضطر لإجابة سؤالي. هل ندمت؟

- كلا. ضربات المطارق على الصخر هي ما تحيله إلى تمثال بديع. وسهير ستتحول إلى تحفة فنية بهذه الضربات.

- لكنك ندمت على ما فعلت مع مهاب.

- مهاب أمر آخر. الضربات قد تقتله حقًا، ولن أستفيد أنا منه في شيء.

تخفي ضحكتها خلف كوب القهوة العملاق الذي لا أراها بدونه. لا أعرف علامَ تضحك. أزفر، فتقول:

- أنت مصمم أنك الشرير الذي لا يبالي. حسنًا.. سأكتب أنك الشرير الذي لا يبالي. هل أنت راض الآن؟

- سأرضى حين ننتهي من هذه الجلسة.

- عمَ يدور الكتاب القادم؟

- عن دقة الليل.. وعن دقة النهار.. وعن قصر شبحي يظهر في حديقة

عامة بالإسماعيلية.. وعن ابنة الخديوي و..

- مهلًا..

ضغطت زر تشغيل المُسجل على هاتفها المحمول وحملت قطها الرخو –واحد من قرابة عشرة قطط- الذي يشبه مشموش إلى حد مريب، وجلست تسمع حكايتي..

* * *

-٢-

طنطا ٢٠٢٢

«يا بختك.. تعرف تقعد لوحدك..»

يدوي صوت الأغنية العجيبة هذه منطلقًا من هاتف شريف المحمول، والذي يحب تشغيل الأغاني عليه أثناء مذاكرته.

اليوم هو الجمعة، اليوم الذي يذاكر فيه شريف، وينظف فيه أسامة سيارته، وتُنهِك رانيا طاقتها في التنظيف، وتجيب فيه سهير على رسائل متابعيها.

يوم تجمع الأسرة قد صار منذ شهور يوم تحاشي تجمع الأسرة.

«.. لا حاطط إيدك على خدك، ولا قلبت معاك عياط...»

رسالة من إحدى متابعات سهير تسألها عن السبب الماورائي الذي يجعل يد الكوب الخزفي تسخن داخل المايكرويف برغم أنها لم تكن تسخن من قبل.

- هل غيرتِ المايكرويف؟

- كلا.

- هل كانت يد الكوب مبللة؟

- كلا.

- هل صنعت فيه مشروبًا مختلفًا؟

- كلا.

تطلب سهير منها أن تنظر إلى يد الكوب تحت ضوء ساطع، وتلاحظ إن كانت هناك شقوق فيه، فتجيبها الفتاة في انبهار أنها ترى الشقوق. تخبرها سهير أن ماء الغسيل قد يتسرب من خلال هذه الشقوق إلى ما تحت طبقة الطلاء، مما يجعل اليد تسخن. ونصحتها أن تغير الكوب لأنه صار أضعف من أن يتحمل السخونة..

أضعف من أن يتحمل تفسيرات ماورائية.

قد ينفجر الكوب فجأة، كما صارت يده تسخن فجأة لكن كل فجأة ما هي إلا مرحلة سبقها الكثير من الضغط والإهلاك.

«يا غلبي.. كل ما آجي أقعد لوحدي، دماغي تبدأ تاكلني...»

يدخل أسامة من الشرفة بعد أن اطمأن إلى أن دواسات السيارة معلقة في أمان لتجف. يغيب في المطبخ ثواني، ثم يخرج بكوبي شاي بحليب، ويضع كوب سهير أمامها، ثم يبعثر خصلات شعرها فتغطي عينيها.

تبتسم..

يسأل أسامة:

- ما هذه الأغنية العجيبة يا شريف؟ من تغنيها؟

- دعسوقة يا أبي.

- دعسوقة؟!

يبين شريف –دون أن يرفع عينيه عن شاشة اللابتوب- أن المطربة اسمها دعسوقة. يلوي أسامة طرفي شفتيه إلى أسفل وينظر إلى سهير

وهي تكتب الردود على هاتفها لمتابعيها.

يقفز اسمي أمامها، رسالة عبر واتساب. ينظر إليها شريف نظرة خاطفة، ثم يكمل مذاكرته.

والمعمل هو الاسم الذي أطلقه على صومعتي في سيوة.

اسم يضفي عليه طابعًا عمليًا آمنًا. أنا لا أدعو سهير لبيتي، إنما هو موعد عمل في.. معمل.

يدفن أسامة وجهه في شايه، وتكمل دعسوقة أغنيتها...

«...وتشدني ونروح هناك.. وأنا مش عايزة أروح هناك!»

***

في المساء، يجلس مهاب على أريكته الصغيرة المفضلة في شقته في حدائق الأهرام، يتابع آراء القراء عن العدد الخاص من سلسلتي، والذي أسمته شيرين هنائي «حكايات الشمندورة»، وقد ضحك كثيرًا من «التريند» الذي حول أغلب الأحداث الجادة إلى «ميمز» ساخرة، وتحول المزاح إلى صراع بين القراء عن أيهما أحق بسهير، أنا أم أسامة الصاوي.

ربما لا يعرف بعض القراء أن تلك الأحداث في الرواياتحقيقية، وأن ما يفعلونه من باب الحماس أو الدعاية قد أثر على أسامة سلبًا، فانكمش على نفسه أكثر وهجر تدخلاته في أي من الأمور الماورائية التي تتورط فيها سهير.

كان مهاب يسمع الحلقات السابقة من برنامجه بعد منتصف الليل ليحاول استعادة ما كان عليه في السابق، فلا يشعر سوى أنه يسمع شخصًا غريبًا عنه. ثمة عاطفة ما يشعر بها تجاه حسن تحديدًا، فيطمئن أن مهاب الحقيقي ما زال بالداخل، فقط انجرافه مع ذكريات مهر وغرابتها تحول بينه وبين استعادة نفسه بالكامل.

كان يتذكر الحياة في السماء، يتذكر القوة والمهابة ولذه التلاعب بعقول البشر. أحيانًا ما كان يشعر بجناحي مِهر ينبتان من ظهره كطرف شبحي، كأنهما كانا هناك منذ زمن ثم بُترا.

يتصفح الأخبار ليرى إن كان هناك ما يصلح للانشغال فيه، فلا يجد إلا سخافات سياسية واقتصادية وفنية. ثم يبدأ رواد مواقع التواصل الاجتماعي في الحديث عن النساء اللاتي ألقت الشرطة القبض عليهن في حديقة عامة جوار متحف الإسماعيلية، وكن ينبشن مساحة كبيرة من الحديقة، ويعملن في الظلام دون استعانة بأي وسائل إنارة.

ألقت الشرط القبض عليهن، واستجوبتهن حتى قالت واحدة منهن دون اقتناع -كأنما تريد أن ينتهي استجوابهن بأي طريقة- أنها كانت تظن أن هناك «عَملًا» مدفونًا في هذه الحديقة، وهو سحر يمنعها من الزواج. في النهاية وجهت النيابة إليهن تهمة إتلاف ممتلكات عامة، وانتهى الأمر عند هذا الحد.

لكن ما أثار الموضوع مرة أخرى بعد أيام قليلة من خموده، هو ما يزعم الناس وحراس أمن المتحف رؤيته ليلًا في الحديقة، وهو أمر لم يسمع عنه أحد من قبل حتى في أفلام الرعب.

أرسل مهاب رابطًا لخبر ينقل روايات الشهود إلى سهير،ثم اتصل بها.

- مساء الخير يا أستاذة. معذرة، لم أدرك أن الوقت قد تأخر. اقرأي الخبر ثم نتحدث في الصباح.

قالت سهير بصوت مرهق:

- أنا لم أنم بعد يا مهاب. دعني أرَ.. موضوع حديقة الإسماعيلية هذا. قرأته منذ قليل.

- وما رأيك؟ هل نذهب ونسمع من الناس بأنفسنا؟

- أعتقد أنك بحاجة إلى الراحة. لا أرى شيئًا يستدعي إغاثة عاجلة.

- لكني أريد أن أنغمس في حياة مهاب الحقيقي. أريد أن أعود أنا..

- حياة مهاب الحقيقية في بيته، وسط أمه وأخوته. غد إلى المحلة شهرًا أو اثنين، بعدها يمكننا أن نبدأ في التحضير للموسم الرابع من البرنامج.

لم تترك له سهير أي انطباع أنها كانت ساهرة تقرأ كل ما نُشر عن هذه القضية، فاقتنع في النهاية أنها غير مهتمة، خاصة بعد أن عزا زهدها هذا إلى ما قاله قراء السلسلة عنها وعن زوجها ومدى قوة علاقتهما كزوجين.

أنهى مهاب المكالمة، وراح يرمق حقيبة السفر –التي لم يفرغها منذ رحلة الإمارات- جوار باب حجرة النوم وهو يفكر في اقتراح سهير بجدية أكبر.

تذكر انك حملت رواية لاشين 7دقة ليل حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

***

سيوة٢٠٢٢

تعرفون أنني لا أستطيع الانتقال الآني الآن بسبب ما حدث لي في أمريكا، بالتالي اضطرت سهير إلى أن تأتي إلى المعمل في السيارة التي استأجرتها خصيصًا لهذا.

الجو حار في صحراء سيوة، والتكييف في المعمليحيله إلى براد يصلح لتخزين اللحوم. نحول سهير يجعلها ترتجف وتعطس كل دقيقة وهي جالسة تنظر إلى المايكروفون والسماعات وأجهزة الحاسوب العديدة المُتصلة به.

شريف لديه امتحانات، فرفض أسامة أن يذهب معها، لكن ذلك لم يكن السبب الحقيقي، لقد أراد زوجها أن يؤكد لها أنها حرة تمامًا في مجال عملها، وأنه لا يفرض عليها قيودًا من أي نوع، ويثق بها –كأنثى- ثقة عمياء، حتى لو كانت برفقة نصف شيطان يحبها لكنها قررت أن تصحب معها حسن، المراهق المختل كثير المشاكل، مما يضفي على الزيارة طابعًا عمليًا، نحن فريق واحد بشكل ما.

لم أمانع في أي من هذا، طالما سهير تجلس أمامي، لا يفصلني عنها سوى الأجهزة والأسلاك وشياطيني.

أمد يدي إليها بوشاحي الصوفي ذي النقشة الصعيدية المميزة، فتأخذه مني شاكرة، وتتدثر به. تُرى هل شمَّت عطري فيه؟ هل أعجبها؟ أقول لها:

- لن أستطيع رفع درجة الحرارة كي لا تفسد الأجهزة القيمة.

يدور حسن في المكان عاقدًا ذراعيه خلفه كي لا يغلبه فضوله فيمس أي شيء.

تقول سهير:

- هلا جلست يا حسن؟ كف عن الحركة، أنا متوترة وأخاف أن تكسر شيئًا أو تلمس شيئًا ملعونًا.

- لا تقلقي يا سهير. الأشياء الملعونة في حجرة أخرى.

يلتفت لي حسن رافعًا حاجبيه في دهشة، فأردف:

- لكن عليها رَصَد، ولن يتمكن أحد من الوصول إليها دون إذني.

يتهدل كتفا الفتى، ويجلس جوار سهير على الأريكة الجلدية. تسألني سهير:

- ماذا وصلك من خلال هذا المايكروفون؟

- أنت ترين أنني أوصله بأجهزة فك شيفرة جلبتها من معمل رياضيات متطورة في الولايات المتحدة كي أحاول فهم الأصوات التي يلتقطها بلغات غير مفهومة. والحقيقة أنني تلقيت عبارات عدة من مصادر مختلفة لا يمثل لي معناها شيئًا على الإطلاق. كأنني أتجسس على ثرثرة عادية. بالطبع لم يكن أيها من شياطين عالم الظلمات أو من عمارة قابيل.

يسألني حسن:

- وهل من شيء مميز فيما سمعت؟

- بالطبع. سمعت أصواتًا بشرية من الماضي. من أحداث قديمة وبلغات قد انقرضت الآن. سجلت حديث بين كهنة باستت، وخطبة لأحد المشايخ أيام قنصوة الغوري، وغيرها مما أكد لي أن هذا المايكروفون قادر على التقاط أصوات من الماضي أو من عوالم أخرى.. وربما من المستقبل كذلك.

قالت سهير وهي تتحاشى النظر إلى عينيَ، فتتشاغل بالتقاط شعيرات قطها مشموش من تنورتها الكحلية:

- وما الأمر الضروري الذي أردت أن تقابلني... تقابلنا بشأنه؟

- مولدات الأرقام العشوائية..

- الوعي العالمي؟

هتف حسن وقد تورَّد وجهه:

- ما هذا؟ لم ندرس هذه الأشياء في المدرسة.

قلت له وأنا أعبث في جيبي فأخرج جنيهًا معدنيًا. أرميه لأعلى، فيدور في الهواء ثم يستقر بين كفيَ. أضعه أمامنا ثم أقول:

- لا يمكن التنبؤ بنتيجة رمي الجنيه إلى أعلى، وأقصى ما يمكننا فعله هو تخمين أي الوجهين سيظهر لنا، وهو تخمين سهل لأنه لا يوجد سوى

احتمالين فقط، ملك أو كتابة. لكن ماذا لو كان للعملة عدد أكبر من الأوجه؟

- مثل النرد؟

- بالضبط؟ أو أكثر. ماذا لو كان عليك تخمين سلسلة طويلة من الأرقام أو الرموز؟ سيكون التخمين أقل دقة بكثير. هنا تأتي أهمية توليد الأرقام العشوائية.

قلت لهما وقد نجحت أخيرًا في صرف نظر سهير عن شعر قطها، أن مولدات الأرقام العشوائية RNG هي خوارزميات برمجية تنتج تسلسلًا مختلفًا من الأرقام أو الرموز في كل مرة تُفعَّل فيها، وتشبه عملية رمي الجنيه المعدني لكن بشكل رقمي.

تستخدم مولدات الأرقام العشوائية في التشفير وعمليات المحاكاة الحاسوبية والمقامرة عبر الإنترنت والألعاب وغيرها.

تقول سهير وقد عرفتُ من البداية أنها تفهم ما أعنيه لأنها درست وجهًا منه في علم الباراسيكولوجي:

- يمكن توليد الأرقام العشوائية عن طريق استخدام أجهزة فيزيائية أو خوارزميات برمجية. مثلا تقيس مولدات الأرقام العشوائية الفيزيائية ضجيج الغلاف الجوي أو ضوضاء الانهيارات الجليدية أو حتى تساعد في اكتشاف العشوائية الميكانيكية الكمية في عملية التحلل الإشعاعي باستخدام عداد جايجر..

قاطعها حسن:

- دماغك! ماذا يعني ما تقولين بـ«البلدي»؟ أنا سأدخل القسم الأدبي العام القادم ولا أحب هذا الصداع.

تضحك سهير وتقول ببساطة:

- تذكرني بسعيد صالح في مسرحية (العيال كبرت). حسنًا.. سأحدثك

«بالهجايص».. باللغة التي تفهمها. العشوائية هي الأساس في كثير من الألعاب، فألعاب الطاولة مثلًا تستخدم النرد، والنسخة الرقمية منها والتي تلعبها على الهاتف أو الحاسوب تحاكي رمي النرد عبر مولدات عشوائية برمجية. في ألعاب الفيديو تُستخدم هذه التقنية للحفاظ على مستوى عال من عدم القدرة على التنبؤ وإضافة عنصر المتعة لجذب اللاعب للعبها عدة مرات.

قلت ملتقطًا الخيط من سهير:

- أتعرف لعبة «بَبجي»؟

- طبعًا. وهل تلعبها؟

- ماذا تظنني أفعل وأنا أراقب هذا المايكروفون؟ الفكرة أنه بدلًا عن برمجة موت كل عدو فيها على حدة، تستخدم مولدات الأرقام العشوائية في جعل كل شخص يموت بشكل مختلف بشكل تلقائي. كذلك تستخدم في تحديد العنصر الذي ستحصل عليه كمكافئة، وتحديد شكل بيئة المكان وحالة الطقس وغيرها مما يقنعك أنك في عالم حقيقي.

لو أنني وسهير قد تزوجنا بعد تخرجي من الجامعة، لكان لدينا ابنًا في مثل عمر حسن، ولكان حديثنا الآن حديثًا عائليًا وأنا أطوق كتفيها.

- فهمت.. ما دخل مولدات الأرقام هذه فيما نحن فيه الآن؟

قالت سهير في حماس وقد تحول الحديث إلى لغتها، الباراسيكولجي:

- لتلك الأرقام العشوائية صلة وثيقة بما نسميه نحن في علم الباراسيكولوجي «الوعي العالمي». ببساطة، لو أن عددًا كبيرًا من الناس قد فكروا في أمر واحد فإن عشوائية تلك الأرقام تقل بشكل ملحوظ. لا يوجد تفسير لهذه الظاهرة، لكن علم الباراسيكولوجي يتوقع أن يكون للتفكير الجماعي قدرة تأثيرية على أمور فيزيائية تقاس بمولدات الأرقام العشوائية. كانت فترة الكورونا من أكثر الفترات التي

قلت فيها عشوائية الأرقام إلى درجة مريبة. لقد كان العالم كله يفكر في أمر واحد.

أرنبتي الصغيرة صارت عارفة بأمور تخصصها الجديد. كانت نبوءتي صحيحة. سهير لم تولد إلا لتحيا في عالم الخوارق... مثلي.

يسأل حسن مرة أخرى:

- وما الذي يفكر فيه الناس الآن؟

صمتنا هنيهة، فلا يعرف أحد منا تحديدًا ماذا يحدث. لكن هناك سؤال طرأ على عقلي، فقلت:

- هل يؤثر تفكير الشياطين أو الكيانات الماورائية الأخرى على هذه الأرقام؟

أجاب حسن سؤال بسؤال:

- هل تعني أن ما يحدث ويؤثر في هذه الأرقام، يحدث في عالم آخر؟

قالت سهير وهي تنظر إلى النافذة خلفي:

- إن كانت الشياطين –على الأقل- كيانات طاقية، تتأثربفيزياء عالمنا كما أثبتت تجاربك، فمن الممكن أن تتأثر مولدات الأرقام العشوائية بها، و ترصد التغير فيها.

- لقد فقدت جزءًا من قواي، هل تظنين أن هذا قد جعل الشياطين تفكر في شيء بخصوصي؟

- ربما.. لا أعرف. يجب أن تراقب هذه الأرقام لفترات أطول، ربما تمتد لأعوام، حتى تستطيع أن تربط بينها وبين النشاط الماورائي.

- هذا كشف هام سيستحق جائزة ما في المستقبل.

لا أعرف لماذا نظرت لي سهير نظرة ضيق، هل فهمت أنني أعني أنها

جائزتي عن هذا الكشف؟ هل قصدت أنا هذا؟

قامت سهير وناولتني وشاحي وهي تقول:

- هل يمكن أن تستدعي السائق؟ أعتقد أنه لا يوجد ما يقال الآن، ولو توصلت لأي شيء، فيمكنك أن تتصل بي. لا داعي لتكاليف نقلنا من وإلى طنطا.

ظلت تنظر إلى عيني في ثبات كأنها تؤكد أنها لا تريد العودة إلى المعمل مرة أخرى. هذه المرة أشحت أنا بنظري، وضعت الوشاح على كتفي مكتفيًا بما خلّفته عليه من عطر امتزج بعطري.

***

ظلت سهير تحاول معرفة المزيد عن وقائع حادثالإسماعيلية. النسوة اللاتي قُبض عليهن يبدون مألوفات لها. لهن سمت مميز، تلك الملامح ذات الأصول الإفريقية البعيدة. هي تعرف من يشبهونهن.

تقوم سهير وتُخرج ألبوم الصور الضخم الذي يضممجموعة صور أشباح الموالد. الجلابيب البيضاء.. الأحزمة التي تتدلى منها أرجل الماعز المجففة.. الملامح الغليظة، الأظفار المحناة..

النسوة اللاتي كن ينبشن في الحديقة من نساء الزار! عمَ كن يبحثن في الحديقة العامة؟

تدخل سهير المطبخ حيث تتوقع أن تجد أسامة جالسًا إلى المنضدة يشرب الشاي، ويضع امتحانات آخر العام للطلبة كعادته. الأوراق والكتب والحاسوب المحمول –المشترك بينهما- أمامه، لكنه كان يرفع عويناته إلى أعلى رأسه ويحدق إلى هاتفه المحمول.

كان يقرأ رواية حكايات الشمندورة، وقد فعلها من قبلأكثر من عشر مرات. في كل مرة يراجع ما حدث، وكل ما قال وفعل مع سهير. كان يعرف تمام المعرفة أنني لم أزد أو أنقص شيئًا في حكي ما حدث بينهما

طيلة حياتهما.

تعلم سهير أنه يحاسب نفسه ويحملها نتيجة كل ما حدث وسيحدث. لقد ظل صامتًا منذ عودتها من مغامرتها في الولايات المتحدة، وتعرف أن تصرفه التالي هو الانسحاب من حياتها ومن كل شيء.

تجلس أمامه وتدس ألبوم الصور بين وجهه والهاتف وهي تقول في مرح مصطنع:

- عرفت أين رأيت تلك النسوة. هن كوديات زار.

قال بلا حماس:

- رائع. وهل ربطت بينهن وبين ما يراه الناس في الحديقة؟

- لقد بدأ كل شيء بعد إلقاء القبض عليهن. ثم إن مولدات" الأرقام العشوائية تشير إلى أن..

يقاطعها باسمًا:

- لم أعد قادرًا على استيعاب هذه الأمور. أنا مُدرس علم نفس. لست طبيبًا حتى. عقلي لن يستوعب طرفي الخيط الذي تجذبانه أنت و.. لاشين. هو يحاول تحويل الدجل إلى علم، وأنت تحاولين تحويل العلم إلى دجل. حظًا موفقًا.

- لكني أريد رأيك!

- لا مكان لرأيي في عالم الماورائيات.

- هل ترى أن العقل البشري قادر على التأثير على مولدات الأرقام العشوائية؟

- ما تتحدثين عنه ضمن نطاق ما وراء علم النفس، لا ما أمامه. لا أعرف الإجابة.

تصر سهير على أن تُشتته بعيدًا عن الهاوية التي يقف عند حافتها.

هاوية الاكتئاب الذي غاصت هي فيها كثيرًا، لكنه كان دائمًا على البر، مستعدًا لانتشالها.

- أعتقد أن موسم المانجو قد حل.

- أجل.. لكنها ما زالت غالية، وخضراء..

- لكن المانجو في الإسماعيلية دائمًا شهية. ما رأيك أن نقضي يومًا هناك على أحد الشواطئ، ونشتري قفصًا أو اثنين من المانجو للأولاد ولرجاء؟

- الامتحانات يا سهير.. الامتحانات.

- يوم واحد فقط..

يُنزل أسامة عويناته إلى أسفل قصبة أنفه ويقول وهو يفتح أحد المراجع:

- يوم واحد لن يكفي للذهاب إلى الشاطئ، وشراء المانجو، والتحقيق في أمر الحديقة.

- لكني..

- لا عليكِ. إن كنت تريدين الذهاب لتقصي الأمر، فاذهبي. لا أظن شريف قادرًا على الذهاب معك، فقد تشتت كثيرًا هذا العام ولم يذاكر شيئًا والامتحانات اقتربت.

- تعالَ معي.

- هيرو.. اذهبي مع حسن، أو مهاب.. أو... أو أي شخص تريدين الذهاب معه.

تحدق سهير إليه وقد احتشد الدمع خلف عينيها. تأخذ ألبوم الصور وتعود إلى حجرة نومها. جسدها يرتعش من كثرة ما تحاول كبت غضبها. هي لا تعرف مما تغضب، لكن أكثر ما يضايقها هو أن أسامة

يضحي كي لا يظهر وكأنه يخنقها، لكن في أثناء تضحيته يخنقها أكثر بألمه وكآبته وافتعال عدم الاكتراث.

تفتح حقيبتها وتُخرج حجري أوبسيديان من محفظتها. تتذكر بروفسيور أويرباك من مركز جوزيف بانكس راين في رحلتها الأخيرة إلى الولايات المتحدة، وتتذكر ما قاله لها عن استخدام الحجرين لتقوية مهارات الرؤية عن بعد عند الوسطاء. لقد نجحت في ذلك في الولايات المتحدة، لكن التجربة كانت ثقيلة، مرعبة. أن ترى كل شيء بعقلها، لا من خلال الكاميرا.

لكن تلك التجربة كانت ضرورية حين تعطلت الكاميرات، ويمكن أن تتكرر تلك الحاجة في أي وقت.

لم تكن تريد أن تتحول هي بنفسها إلى عرافة أو مسخ تراوده الرؤى طيلة الوقت، لكنها كانت يائسة من سهير، يائسة من تلك التي بلا هوية تضع الحجرين على عينيها، وتحاول أن تُركز في أي شيء بعيد عنها في رجاء. في الحاجّة مريم. في مهاب وعائلته.

فيّ أنا لاشين...

«...وتشدني ونروح هناك. وأنا مش عايزة أروح هناك!»

***

-٣-

الإسماعيلية ٢٠٢٢

في الصباح الباكر، توقف سهير سيارتها الصغيرة خلف سيارة الدفع الرباعي التي أركبها. تترجل ثم تميل على النافذة البعيدة وتقول لي:

- ألم تقل أنك ستجلب سائقًا يوصلنا؟

- لقد اعتذر الرجل، يقول أنه مصاب ببرد من المروحة. لن يمكننا الانتظار أكثر بينما تقل عشوائية الأرقام باطراد. لا بد أن أمرًا جللًا على

وشك الوقوع.

- برد في الصيف، هه؟ ما علينا.

كنت واقفًا أمام ستوديو زاهر أنتظرها منذ الليلة الماضية، فالمسافة بين سيوة وطنطا طويلة للغاية، وكان عليّ ألا أتأخر عنها في أي وقت تصل فيه.

غابت سهير في سيارتها للحظات، ثم عادت برفقة حسن الذي يحمل حقيبتها الضخمة. سألتها همسًا وأنا أضع حقيبتها جوار حقيبتي على الأريكة الخلفية:

- لم تذكري أن هناك من سيأتي معنا.

قالت بابتسامة جانبية خبيثة:

- وأنت لم تقل لي أن السائق قد اعتذر. لا تظن أنك الوحيد الذي يعرف كل شيء.

ركبَت جوار الحقائب، وأشارت لحسن أن يركب جواري في المقدمة. لو أنه كان ابننا لقطعت له تذاكر سينما لحفلات اليوم بأكمله حتى يحل عنا.

كنت أعرف ما تحب سهير من أغانٍ، فشغلت كل ما لم تشاركه أسامة يومًا، وأغلبها أغان أجنبية مما لا يحبها.

انطلق إلفيس كوستيلو يغني:

«ربما هي الوجه الذي لم أستطع نسيانه..

بقايا المتعة أو الندم..

ربما هي كنزي، أو الثمن الذي سأدفع..

ربما هي أغنية الصيف..

ربما رعدة الخريف..

ربما مئات الأشياء الأخرى...»

دسّت سهير سماعتين في أذنيها، وارتدت عوينات الشمس التي أكلت نصف وجهها، فانعزلت تمامًا عنا، وتركت لي المراهق الثرثار الذي لم يكف لحظة عن السؤال عن كل شيء في عالم الظلام أو الضياء. يبدو أنه يفتقر إلى أخ أكبر أو أب.

عمومًا، لو كان ابننا، لكنت ألقيته عند باب أقرب جامع.

***

أول ما فعلت حين وصلنا الإسماعيلية أنني اشتريت أربعة أقفاص من أفخر أنواع المانجو. لا داعي للقول أن البائع قد أعطاني «وِش» كل الأقفاص دون أن يأخذ مني مليمًا. كل ما تمنى هو أن أرحل وآخذ معي ذلك الرعب الذي أصابه لمرآي.

لكني تركت له المال على أي حال، ثم أمرت حسن أن يحمل الأقفاص إلى السيارة، ففعل في سعادة أثارت حنقي. لا أعرف سر استمتاعه الشديد بمرافقتنا.

سألتني سهير في ريبة:

- رحلة تحقيقات ماورائية تبدأها بشراء المانجو؟

- أحلامك أوامر يا صغيرتي.

عقدت حاجبيها وخلعت عويناتها الشمسية فرأيت عينيها الواسعتين كثيفتي الرموش دون حواجز. صاحت بي:

- أنت تتجسس عليَ يا لاشين؟!

أضحك فتضحك شياطيني. أقول لها وأنا أقطع إحدى ثمرات المانجو بالسكين السويسري المعلق في ميدالية مفاتيحي:

- أنا لا أتجسس عليك. كنت أحاول فقط معرفة الأسئلةالتي سيكتبها أسامة في الامتحانات فأسربها وأتسبب له في بعض المشاكل الصغيرة التي ستنعش حالة الاكتئاب التي يمر بها، فسمعت ما قلت بالصدفة.

لم تُعلق، فقط زفرت وغطت عينيها بعويناتها، ثم اندسّت مرة أخرى جوار الحقائب.

***

عرجنا على الحديقة العامة جوار متحف الإسماعيلية لنبدأ العمل الحقيقي. فكما تعلمون أنا بالفعل مهتم بما يحدث، ولدي فضول قوي لمعرفة ما ستكشف عنه تحقيقاتنا.

أوقفت السيارة ثم سرنا إلى شارع صلاح سالم حيث مدخل المتحف. كنت قد صنعت لنا كارنيهات نقابة الصحافيين -مزورة طبعًا- وسهل علي الحصول على أوراق مزورة حين أريد. أما حسن، فلديه كارنيه طالب في كلية الآداب قسم الصحافة. يبدو صغيرًا بعض الشيء، لكن لا يوجد ما يمنع من أن يبدو طالب الفرقة الأولى في الجامعة كطالب ثانوي.

هذه الأوراق ستفيدنا عمومًا في تحرياتنا القادمة، وقريبًا ستصلني بطاقات هوية بأسماء مستعارة.

دخلنا المتحف الملاصق للحديقة العامة، والتي تجاور بدورها قسم شرطة أول الإسماعيلية. وقفت بين المتحف والحديقة، تحاول شياطيني أن تعرف ماذا حدث هنا يوم القبض على النسوة الغامضات.

الزمن يتراجع حولي، ويصير النهار ليلا ثم نهارًا ثم ليلًا... السيارات تسير بالعكس، أوراق الشجر على الأرض تعود إلى أشجارها. ثواني وأجد نفسي أعود إلى الحاضر. لقد فقدت بالفعل القدرة على رؤية الماضي، بينما احتفظت بالرابط بيني وبين سهير وقدرتي على معرفة ما تفعل وقتما تفعله.

هذا يكفيني مؤقتا..

دخلنا إلى المتحف، وقدّمنا أنفسنا إلى الأمن، ثم سألناهم عن الحرس الذي شهدوا ما يحدث ليلًا في الحديقة. قال واحد منهما لي وهو بدين أسمر يغرق العرق صدر زيه الرسمي:

- ممدوح وأبو غلا يعملان في وردية الليل فقط. لكن يمكن أن أتصل بهما ليقابلانكما. أنتما صحفيان في أي جريدة؟

- جريدة المواطن. جريدة إليكترونية.

- أجل.. وهل سيكون هناك صور لنا مع الخبر؟

رفعت سهير كاميرتها وقالت في حماس:

- بالطبع. صور احترافية يمكنك أن تستخدمها على صفحتك في فيسبوك أيضًا.

تحمس الرجل، واتصل بزميليه، ثم أحضر لنا الشاي فجلسنا نشربه في مكتب الأمن الصغير، بينما يجول حسن بين المعروضات ويصور نفسه «سيلفي» جوارها كل عشر دقائق.

بعد نحو نصف ساعة، جلسنا جميعًا مع الحارسين، تصورهما سهير وأحاورهما، بينما يُسجل حسن ما نقول صوتيًا.

- متى رأيت أول شيء غريب؟ احكِ لي بالتفصيل.

حكّ الرجل – الذي هو أبو علا- شعره الخفيف، ثم أخرج هاتفه المحمول وراح يُقلب فيه دقيقة، بعدها أجاب:

- حاولت أن أصور ما رأيت، لكن الكاميرا لم تلتقط شيئًا. كنت أبحث عن تاريخ الفيديو. ها هو. نفس ليلة إلقاء القبض على النسوة الغامضات.

حكى أبو علا عن ذلك اليوم، فقد دخل الحمام في المتحف في الحادية

عشرة مساءً، بعد أن وقف وممدوح يشاهدان الشرطة تقبض على النساء، وصور أبو علا ما حدث وبثّه عبر الفيسبوك في وقتها. حين خرج من الحمام، سمع صوتَ غناءٍ غريبًا، قال أنه لم يتبين كلمات الأغنية في البداية.

- خرجت إلى حديقة المتحف أتبين الأمر، فسمعتالصوت أوضح ناحية اليمين. سرت حتى خرجت إلى الشارع، ومن خلال سور الحديقة العامة رأيت قصرًا خشبيًا، نوافذه تُبين ضوء مئات الشموع بالداخل. واستطعت أن أسمع اسمًا يتردد وسط ما ينشدونه. أعتقد أنه أحمد الهندي أو شيء من هذا القبيل..

قالت سهير:

- أحمد الهدندوي؟ غريبة.. هل سمعت دقات دفوف أو شيء من هذا القبيل؟

- بالضبط! هذا ما سمعته، وقد غطت أصوات الدفوف على الكلمات فلم أتبين جيدًا ما يقال. صوت المغنية كان خشنًا، وكنت أجاهد كي لا أتمايل مع الأنغام التي تشبه المخدرات.

قال ممدوح أنه جاء على صوت نداء أبو علا، ورأى وسمع معه كل ما حكى لنا راح يقسم أنهم لا يشربان السجائر حتى، وأن ما رآوه لم يكن هلوسة، فقد تكررت هذه المشاهدات مع أكثر من شخص في أيام وساعات مختلفة عشوائية. لكنهما يعتقدان أن كل شيء قد بدأ منذ ليلة القبض على النساء.

سأل حسن:

- ماذا فعلوا بالحفرة في الحديقة؟ هل وجدوا فيها شيئًا؟

أجاب ممدوح:

- وجدوا بعض قطع الخيش المهترئة فقط. ردمها عمال الحي،

وأعادوا تغطيتها بالنجيلة. كف القصر عن الظهور منذ يومين، لكننا لا نعرف إن كان سيعاود التجلي مرة أخرى أم لا.

بالطبع لم يكن استجواب الحارسين هو ما جئنا من أجله، بل معاينة المكان وتصوير سهير لموضع الحفرة، ومحاولة حضور تجلي القصر.

دخلنا الحديقة برفقة أبي علاء، الذي أصر على تصوير قيادته لنا عبر أدغال المتنزه كان يتحاشى الاقتراب مني، ويتحاشى توجيه الحديث مباشرة إلى سهير إذ أنه يعتبر توجيه الكلام للنساء في وجود الرجال مهانة ما، ففضّل مرافقة حسن وتوجيه حديثه إليه .

- هذا هو المكان. واضح أن الحشائش التي غرسوها فوقه قد جفت. لا بد أنهم قد نسوا ريها. عمومًا الجو حار للغاية.

راحت سهير تلتقط الصور، ثم نظرت لي من فوق عويناتها الشمسية وهزّت رأسها مشيرة أن الصور «نظيفة».

ركع حسن جوار الحفرة وأمسك بطرف قطعة خيش بارزة من تحت الأرض سأل حسن أبو علا:

- هل أخذت الشرطة الأقمشة التي وجدوها

- أجل أخذوها لكن يبدو أن هناك المزيد

جلس الحارس القرفصاء ونبش الأرض بطرف العصا وجدها، بينما يحاول حسن تحرير قطعة الخيش التي خرجت أخيرًا على هيئة خيوط مهترئة. لكن ما سقط منها هو ما لفت نظري.

قالت سهير وهي تنظر إليها عبر عدسة الكاميرا:

- عظام طيور على ما أعتقد. دجاج.

حاولت سهير أن تضع العظام في حقيبتها، لكني جذبتها من يدها ووضعتها في جيبي. نظرت لي في غضب ولم تُعلق.

في النهاية لم نجد ما نفعله، فجلسنا في كافيتريا خلف المتحف، نشرب ما يعيننا على عناء العودة بالسيارة.

تغمغم سهير:

- زار يحاولون فيه استنزال الهندوي؟ لا بد أن الكوديات غير مصريات.

- بارعة أنت في أمور الزار يا سهير.

- قضيت أكثر من عشرين عامًا في الموالد، أسمع وأرى ما يغفل الآخرون عنه.

- كلانا تربية موالد حقًا.

أضحك، فلا تضحك سهير ولا شياطيني. يرفع حسن عينيه عن شاشة الحاسوب المحمول الخاص بي، ويقول:

- هل تعرفان أن قصر الخديوي إسماعيل القديم كان يحتل مساحة الحديقة العامة؟

أدار حسن شاشة الحاسوب المحمول نحونا، فرأيناصور القصر الهائل، المطل على مجرى مائي ما، لعله ترعة، وتحيط به الأشجار. القصر مكون من طابقين، النوافذ تتراص فيه جنبًا إلى جنب كالجنود. يشبه أغلب قصور تلك الحقبة الزمنية على أية حال.

قالت سهير:

- آدم، اتصل بأبي علا واطلب منه أن يصف لك القصر الذي رآه. أراهن على أنه هو.

- سأرسل له الصورة على واتساب.

يقول حسن وهو يقرأ المزيد عن القصر:

- مكتوب هنا أن القصر بني عام ١٨٨٠، وكان مبنيًا بالخشب والطوب،

وبهوه على طراز عربي مزين بألوان زاهية تميزه عن باقي المكان هُدم القصر عام ١٩٠٣ بعد أن تراجعت هيئة القنال عن تحويله إلى مدرسة، وتحولت أرضه إلى حديقة عامة ومشتل لهيئة قناة السويس.

تسأل سهير وهي تخلع عويناتها الشمسية وترتدي عوينات النظر:

- لماذا تراجعوا عن بناء المدرسة عليه؟ القصر كان جديدًا نوعًا، لم يمر على تشييده خمسة وعشرين عامًا.

- لا أعرف. لم يذكر أحد الأسباب.

تلقيت رسالة من أبو علا يذكر فيها أنه رأى هذا القصر بالتمام والكمال. ووصف رؤيته لقارب شراعي يجري في الماء المجاور، وهذا شيء لم تُظهره الصورة التي أرسلتها له.

قالت سهير:

- إذًا لدينا شبح قصر هُدم في ريعان شبابه لسبب مجهول. لدينا سيدات تعملن ككوديات زار حاولن نبش أرضية الحديقة، لدينا عظام طيور، لدينا أصوات زار تحاول استنزال جن غير مألوف للمصريين. ماذا نستنتج؟

قلت وأنا أصب المزيد من السكر في كوب الشاي الخاص بي:

- لا تنسي أن لدينا مؤشرات رقمية تدل على حدوث شيء ما.

همس حسن وهو ينظر حوله خشية أن يسمعه أحد:

- أظن أن تلك الأرقام التي تحكي عنها قد لا تعبر عن وعي البشر فقط، أليس كذلك؟ هناك من يحاول التواصل مرة أخرى مع ملوك الجن.

- وما دخل القصر في هذا؟ لماذا استيقظ شبحه؟

أضافت سهير وهي تُقلب في هاتفها المحمول لتُرينا صور زار قد صورته من قبل:

- طيلة الوقت يحاول رجال ونساء الزار التواصل مع الجان، وهذه الصور تثبت أن في بعض الأحيان يحضر الجن هذه الحفلات. ما الجديد؟ أتعرفان؟ أريد التواصل مع النساء اللاتي كن يحفرن الحديقة.

قلت لها في حماس:

- سأوصلك بهن. لا تقلقي.

توقعت أن تنظر لي سهير نظرة إعجاب، أو حتى رضا، نحن على وفاق منذ بدأنا هذا التحقيق نحن كلاعبي تنس يتقاذفان الكرة بمهارة لكنها هزت رأسها وفتحت قائمة المشروبات للحظات، ثم أغلقتها ووضعت حساب ما شربنا تحت الكوب، ثم هتفت :

- جاوزت الساعة الثانية. لا بد أن نعود.

***

أوصلت سهير إلى بيتها، وحمل حسن قفصي مانجو إلى شقتها، ثم نزل لأوصله إلى بيت جدته في المحلة مع نصيبه منها.

وقف أسامة يحدق إلى المانجو التي سبقت سهير، ثم انتزع ابتسامة ألصقها على وجهه كي يستقبل زوجته الغارقة في العرق وغبار السفر.

- كيف حالكم. لماذا لا ترد على هاتفك المحمول؟

- هل اتصلتِ؟ يبدو أنني نسيته في السيارة حين نزلت أشتري الغداء.

- ولم تتصل بي منذ سافرت؟

- انشغلت يا هيرو مع الأولاد والامتحانات. ما هذه المانجو؟

خلعت سهير حذاءيها وقالت وهي تتجه إلى حجرة نومها دون اكتراث:

- اشتراها لاشين.

أغلقت باب الحجرة عليها، ثم جلست على الفراش تحدق إلى السقف

وهي تسمع أوامر أسامة لرانيا وشريف بتقسيم المانجو إلى أكياس متساوية الوزن لتوزيعها على الجيران.

- كُلا منها ما تشاءان وفرِّقا ما سيتبقى.

يسأله شريف:

- ألن تأكل منها؟

- نعم. لقد صارت تصيبني بالحساسية.

تغمض سهير عينيها، لكن جفنيها لا يستطيعان كبح اندفاع دموعها. أسامة متطرف، إما أن يخنقها بتحكماته، أو يترك لها الحبل على غاربه دون أدني اهتمام أعرف أنه يغلي، أعرف أنه يوشك على الانفجار، لكنه يجاهد كي تعبر تلك الأيام الثقال، وهو موقن أنها أيام ستجذب خلفها قطار السنوات، ولن ينتهي ما يتمنى انتهاؤه قبل أن يموت واحد من ثلاثتنا على الأقل.

نظرت سهير إلى قائمة الأرقام على هاتفها المحمول. يحتل اسم أسامة أول ثلاثين اتصال، ثم أرقام رجاء ومهاب ورقمي. تصرف النظر عن الاتصال بأي شخص منا، فهي فقط كان تتوق لأن تحكي لزوجها ما حدث، حتى لو اتهمها بالخبال أو أمرها أن تترك كل شيء وشأنه وتعني بشأن نفسها فقط.

رغم رفضها لأسامة الجديد الذي ظهر بعد تورطها في برنامج بعد منتصف الليل، فهي تود لو يعود ويخبرها أنه موجود، وأنه لن يتركها لألاعيب لاشين النفسية.. ألاعيب شياطيني.

تدق الدفوف.. النغمات أبعد ما يكون عما أِلفنا في الأفلام.

تقف سهير ابنة الخامسة الثلاثين في أحد أركان القاعة الرطبة الخانقة، تصور ما ترى..

هانم يا ريكوشا هانم...

لعب العرايس يا ريكوشا هانم..

ترقص الكودية دهبيَّة، فيترجرج جسدها الممتلئ في جلبابها الأحمر. خصرها محاط بحزام من القماش يتدلى منه حوافر ماعز. تُمسك بيد المرأة التي عليها الزار –الممسوسة- وتعينها على الوقوف والتماسك أكثر، والاستمرار في الرقص الهيستيري.

تعالي نلعب بالعروسة...

دي سمرة وجميلة يا ريكوشا هانم...

ترى دهبيَّة إحدى النسوة الجالسات في هم، تشبك أناملها أمامها، فتضرب كفها وتنهرها على شبك أناملها كي لا تغضب عليها ريكوشا هانم.

يحضر أحد الرجال جِديًا هزيلًا أسود اللون، محمولًا على عنقه، ثم يلقيه أرضًا تحت قدمي دهبيَّة الحافيتين..

تصور سهير، لكن الكاميرا تتعطل. تهزها وتحاول فهم المشكلة. تزفر، ثم تُخرج هاتفها المحمول حانقةً. ستضطر إلى تصوير هذه اللحظات الحاسمة بالذات بالهاتف ذي الكاميرا محدودة القدرات.

الله عليكي يا ريكوشا هانم..

لعب العرايس يا ريكوشا هانم..

تردد ذهبية الكلمات، ويردد الحضور «هانم يا ريكوشا هانم» بعد كل

مقطع. تتلاقى عيناها المكتحلتان بعيني سهير، فتبتسم ابتسامة سريعة مُطمئنة، فتفطن سهير إلى أنه لا بأس من التصوير بالهاتف المحمول.

يا أم الملبّس يا ريكوشا هانم...

علشان العرايس يا ريكوشا هانم..

تعرف سهير أن في لحظات الانتشاء التي تسبق الذبح، تصير دهبيّة في أكثر حالاتها تألقًا. هي تعشق تصويرها، وتحب سمارها الداكن وملامحها الفاتنة الغليظة، والإيشارب الأزرق المُقصّب بالذهب، والشراشيب البترولية المتدلية منه على وجهها. يسحرها انعكاس الضوء على الحلي الذهبية والخرز الملون الذي يكسوا صدرها العارم.

دهبيّة، قطعة فنية لم تفوت لها سهير زارًا منذ ثلاث سنوات.

يا لابسة البمبي يا ريكوشا هانم...

تعالي جنبي يا ريكوشا هانم..

ترشد دهبيّة عروس الزار –الممسوسة- إلى طست نحاسي تسبح فيه بضع سمكات بلطي. العروس الواجمة تتمايل جالسة أمامه، ودهبية تدفع رأسها إلى الماء فيبتل. تشهق العروس.. تمسك دهبيّة سمكة وتلقيها فوق رأس المرأة، ثم تطلب منها أن تغمس كفيها في الماء وتداعب الأسماك.

يا حبشية يا ريكوشا هانم..

الله عليكي يا ريكوشا هانم..

قالت دهبيّة لسهير أن حفل اليوم سيكون حفلًا كبيرًا، لا يشبه الزار الأسبوعي الذي اعتادت سهير تصويره. سيستنزلون الست سفينة، وهي -كما فهمت سهير- إحدى ملكات جن البحر، واليد اليُمنى لريكوشا هانم، ملكة الجان.

دهبيّة ليست صديقة سهير، لكنها تعرفت إليها في مولد السيد البدوي،

وهي الكودية الوحيدة التي سمحت لسهير بتصويرها، بل ومنحتها معلومات عن الزار بلا مقابل، كأنها تحمل همًا تود لو تلقه على كتف أي شخص.

سودانية يا ريكوشا هانم...

تعالي نلعب يا ريكوشا هانم...

تلاحظ سهير أن الأسماك التي قفزت خارج الطست تتحرك في تشنجات، متجهة إلى المنضدة التي عليها الشموع والطعام والشيشة. تدخل تحت المفرش الأبيض وتختفي.

عازف الطنبورة الأسود يتصلب مكانه وهو ينظر إلىجهته من المنضدة. الماء يتدفق من تحتها، عكرًا محمرًا. تنظر سهير إلى دهبيَّة، ثم إلى الصورة على شاشة هاتفها المحمول. هناك مخلوق نحيل أسمر يقف خلف المنضدة، ويضرب الأرض بذيله الذي شبه ذيل الأسماك.

تصرخ عروس الزار وتُخرج يديها من الماء الذي راح يغلي ويفور إلى خارج الطست. نظرة الهلع على وجه دهبيَّة. سهير تندفع نحوها لتُريها ما ظهر في الصورة. نساء الفرقة مندمجات في الغناء، لا يستوعبن ما يحدث..

ده لعب العرايس يا ريكوشا هانم..

سودانية... دي ريكوشا هانم..

دلع الهوانم.. سمرة وجميلة..

يتشنج الجدي فيمزق الحبل، وينطلق دافعًا في طريقه المنضدة. تهوي الشموع الطويلة المشتعلة نحو دهبيَّة، النار تُمسك في الإيشارب المُقصَّب. سهير تحاول هي وعازف الطنبورة أن يُمسكا دهبيَّة التي راحت تترنح وهي تضرب رأسها.. تتراجع خلفًا فتطأ طست الماء الحار، وتسقط فيه جالسة..

يا حبشية

يا سودانية

الله عليكي..

سمرا وجميلة.. الله عليكي..

*****

لم تر سهير دهبيَّة بعد هذا اليوم إلا خلال زيارتها في عنبر الحروق بمستشفى طنطا الجامعي. فقدت دهبيَّة شعرها الطويل الأسود، وتشوه نصف رأسها العلوي، وفقدت الإبصار في عينها اليمنى، إلى جانب حروق عنيفة في جسدها جراء سقوطها في الماء المغلي. عاهدت دهبيَّة الله إن أنجاها من هذا الكرب أن تعتزل الزار والعبث مع الجان. ظلت سهير تطمئن عليها بالهاتف من وقت لآخر، حتى اطمأنت أنها عادت إلى بيتها، ثم نست المرأتان كل شيء عن بعضهما البعض.

الآن تتذكر سهير دهبيَّة، ويوم حضرت الست سفينة..

توقف سهير سيارتها قرب عنوان دهبيَّة في تل الحدادين بطنطا، ثم تستقل توكتوك وهي تدعو الله ألا يثير منظر سيارتها شهية أحد اللصوص فيسرقها، رغم أن لا ثمنها ولا حالتها تساويان تعب أو مخاطرة سرقتها.

تنزل سهير عند منزل من الطوب الأحمر من أربعة طوابق. تدخل عبر البوابة الحديدية الصدئة، فيفاجئها طفل يسألها:

- إلى من تصعدين يا مدام؟

- الست دهبيَّة. في الطابق الأخير.

ينظر لها الطفل من أعلى إلى أسفل، ثم يهتف وهو يبتعد مطاردًا خُفَّه الواسع الذي لا ينفك ينفلت من قدمه الصغير:

- أجل. هي في الطابق الأخير.

صعدت سهير الدرجات النخرة الضيقة، واجتازت ستائرمن روائح قلي السمك وتقلية الملوخية وتحمير البطاطس، حتى وصلت الستار الأخير، رائحة البخور التي تغطي على رائحة أخرى تذكرها برائحة عنابر رعاية المسنين في المستشفيات.

ضربت الجرس، فسمعت صوت دهبيَّة العميق يهتف:

- مَن؟

- سهير زاهر يا ست دهبية. المصورة.

- مدام سهير!

سمعت صوت دقات على الأرض، ثم انفتح الباب كاشفًا عن ابتسامة دهبيَّة المُصفرة من أثر تدخين الشيشة.

- الغالية! تفضلي.. أهلا وسهلاً..

دخلت سهير خلف دهبيَّة، ولم يفتها أن ترى «عِدة» الزار في ركن الصالة الخالية إلا من صفين من الطنافس وأريكة ذات سحَّارة أسفلها. أشارت دهبيَّة إلى سهير كي تجلس، واتجهت إلى المطبخ متكئة على مشايَة معدنية.

- كنت سأصب الشاي مع الإفطار. لدي باذنجان مقلي بالثوم وطعمية طازجة. كُلي معي لقمة.

لم تسمع دهبيَّة شكر سهير ومحاولتها لرفض الإفطار، لكنها اضطرت أن تقوم خلف المرأة لتحمل عنها الصحفة والشاي.

جلست المرأتان ووضعت سهير الصحفة بينهما على الأريكة. دسَّت دهبية قرصي طعمية في رغيف وفوقهما قطعتا باذنجان، ثم لفت الرغيف حول ما فيه وناولته لسهير، وشرعت تفعل المثل في القرصين

الباقيين.

- كنت على بالي يا مدام سهير.

- وأنت أيضًا. في الحقيقة صورك لم تفارق جدران الستوديو. صورك أنت، لا صور الزار بالطبع.

ضحكت دهبيَّة، ومسحت عينها البيضاء بظهر يدها، وقالت:

- أيام.. لا شيء يدوم على حال. تذكرتك وأنا أشاهد في التلفاز تلك الكوديات اللاتي كن يحفرن الحديقة.

توقفت الشطيرة معلقة في الهواء أمام فم سهير التي سألتها:

- غريبة. هذا هو الأمر الذي جئتك لأجله.

- القلوب عند بعضها يا مدام سهير.

- هل تعرفين أيًا من تلك النسوة؟

- لا أعرفهن شخصيًا، لكني ميزت وجه واحدة أو اثنتين منهن حبشيات هن، قابلت بعضهن في الخليج يعرفن كيف يتواصلن مع الأثرياء ويُقِمن لهن أدوار الزار الملكي، بل يُقمن عروضًا استعراضية في المسارح أيضًا لم أكن أعرف أن لهن عملًا في مصر تعرفين أن الزار ليس شائعًا عند الأغنياء الآن

- بالطبع، هذا مفهوم. تُرى عمَّ كن يبحثن في الحديقة؟ لقد كان قصر الخديوي إسماعيل مبنيًا مكانها منذ حوالي مائة وعشرين عامًا. فما الذي جدَّ؟

نفَضت دهبيَّة الردَّة عن كفيها بعد أن وضعت باقي شطيرتها على الصحفة، وقالت:

- يبدو أن هناك دورًا ملكيًا سيقام هنا.. في مصر. تعرفين أن مهنة الكودية مورَّثة من سيدة إلى تلميذتها. ممنوع علينا –نحن الكوديات-

الإنجاب. لكن البعض –الشر برة وبعيد- لديهن علاقات برجال، قد ينتج عنها أطفال، ولا بد من إجهاض الحمل قبل الولادة. لكن بدر وفرقتها لا يجهضن حملهن. هن أسرة واحدة تربطهن صلة دم فعلية. هذا هو المميز فيهن.

- وماذا يحدث لو عاش أولاد الكوديات؟

- لا أعرف حقًا لا أعرف لكن هناك الكثير في مهنتنا مما لا يجب أن نبحث وراءه أنت رأيتِ ما حدث لي بسبب أخطاء تافهة واحدة من الحاضرات لم تكن طاهرة، وأخرى مُصرة على تشبيك أصابعها، وثالثة اشترت جديًا مريضًا لتقديمه للست السفينة. كل هذا حملت أنا ذنبه وحدي. الحمد لله على كل حال.

سألتها سهير إن كانت تمارس الزار، فقالت دهبيّة أنها لا تقيم إلا دوزًا أسبوعيًا يحضره هواة حضور هذا الطقس، وهذا الدور لا يكون فيه عروس ولا قرابين ولا أي شيء.

- دور آمن. مجرد نصب يا مدام سهير على من يحبون حضور هذه الأدوار. يُخرجون فيه كل الكبت لديهم ونحصل نحن على بعض المال والطعام. أنا عاجزة عن العمل، فماذا سأفعل لأكل عيشي؟ أسرق؟ أتسول؟ لم أعتد على أن أكون عالة على أحد.

ضحكت دهبيّة وشرعت تكمل شطيرتها. قالت سهير وعقلها يهدر مفكرًا فيما يصح أن تقول، وما لا يصح:

- ست دهبيّة، هل يمكنك أن تدليني على الطريقة التي أصل بها لبدر وفرقتها؟

- لأي غرض؟ لن تسمح لك بتصوير أدوارها، ولن يسمح لك الأثرياء ممن تعمل معهم.

- لا أريد تصويرها.

- أخشى عليكِ من التورط فيما يفعلن. الثمن باهظ للغاية...

للمرة الألف، تكتم سهير غضبها من محاولات الآخرين لحمايتها، وكأنها طفلة. ترد في جفاف رغمًا عنها:

- لا تقلقي يا ست دهبيَّة، فقط أخبريني كيف أصل إليهن.

***

كنت قد أخبرت حسن أنني ألعب بَبجي أثناء انتظاري مايحمله لي المايكروفون من لمحات من عوالم أخرى، لكني كذبت.

حين لا أنشغل بشيء آخر، أنشغل بمراقبة سهير. لا يمكنني معرفة ماذا تفعل وأنا منهمك في أمر آخر، هذه هي حدود قدراتي الشيطانية. وإن كان الأمر بيدي لاخترت متابعتها وترك كل شيء آخر ليذهب إلى الجحيم.

رحت أقطع المعمل في غضب وأنا أتابع حديثها مع دهبيَّة. لماذا تصر على التصرف وحدها؟ لماذا لم تنتظر أن آتي لها بنبأ بدر وفرقتها؟ لكني أعترف، أنا أغار منها.. أغار من قدرتها على الاستغناء عني حتى في مجال تفردي. أنا شيطان، عالِم، لكنها لا تحتاج إلى قدراتي ولا إلى حمايتي.

عرفت هي قبلي كيف تصل إلى بدر، ثم عادت إلى الستديو الخاص بها كي تستكمل يومها العادي ولا تثير قلق أسامة أو ريبته. لا أعرف فيما تفكر أو تخطط. يجب أن أستعيد دوري في هذا التحقيق بأي طريقة، لكني لأول مرة أعجز عن التصرف سريعًا، ولم تكن لدي بالفعل خطة للوصول إلى الكوديات.

أنا مُشتت..

حسن يرسل لي عشرات الرسائل في اليوم يسألني متى سألعب بَبجي كي يلعب معي. لو كان ابننا لأرسلته للدراسة في مدرسة داخلية في

مجاهل إفريقيا.

أغسل وجهي بزجاجة ماء باردة، وأشرب ما تبقى منها، ثم أجلس إلى حواسيبي لأرى ما أستجد. ثمة تسجيل غريب يستخدم عدة لغات منها التركية والفرنسية والمصرية بمصطلحات قديمة بعض الشيء، بالإضافة إلى لغة مجهولة يشرع الحاسوب في فك تشفيرها وتحويلها إلى ملف صوتي.

الحديث يدور بين أطراف عديدة حول أميرة مريضة، وعن نقلها من حجرة لأخرى، وحول أموال تحوَّل من طرف لطرف، وملابس محددة التفاصيل تُخاط على عجل.

كدت أعتبرها تخاريف أخرى بلا سياق، حتى رأيت في الملف المكتوب المُفرَّغ من التسجيل كلمة لفتت انتباه شياطيني.

«واروبال ماما»

- «آدم.. هناك فرصة عظيمة كي تُشفى مما أنت فيه..

آدم.. سهير لا تثق بك لأنك صرت ضعيفًا..

آدم.. استعِد مجدك!»

***

-٥-

بعد ربع ساعة من بحث سهير في سجل المكالمات عمن يصلح أن تشاركه خواطرها، استقر الاختيار النهائي على حسن، الذي لو كان ابننا ما سمحت له بمحادثة سيدة غريبة عن أمور مخيفة مُهلكة.

- هناك عدة مشاكل يا حسن أولها أنني لا أعرف إن كانت سيارتي قادرة على السفر إلى الإسماعيلية والعودة في نفس اليوم أم لا ثانيها أنه ليس لدي فكرة عما سأفعله حين أذهب إلى بدر هل سأطرق بابها

وأسألها عما كانت تفعله في الحديقة؟

قال حسن وهو ينهي رابع ثمرة مانجو اليوم:

- سؤال.. معذرة، يداي ملوثتان والهاتف ينزلق عن كتفي. تقولين أن بدر هذه وفرقتها يقيمون في القاهرة، فما الذي سنفعله في الإسماعيلية؟

- ألم أخبرك؟ اتصل مهاب بمديرة أعمالها عبر صفحة الفرقة على فيسبوك، وعرف أنها في الإسماعيلية وستعود خلال شهر. ما الذي تفعله في الإسماعيلية؟

- تصطاف؟

- مصادفة غريبة عمومًا لا أتخيل أن كودية زار تذهب لقضاء المصيف في الإسماعيلية بالذات أشعر أن هناك صلة بين وجودها هناك وما حدث في الحديقة

سألها حسن وقد رغب في أن يسمع منها إجابة محددة تغذي ثقته بنفسه:

- لماذا اتصلتِ بي بدلًا من أن تتصلي بمهاب؟ فهمت أنك طلبت منه المساعدة.

- لا أريد أن يعمل معنا مهاب في هذا التحقيق. حالته غريبة مع اختلاط ذاكرته بذاكرة مِهر، ويحتاج للاستقرار جوار أهله قليلًا حتى يستعيد نفسه.

- ولاشين؟

صمتت سهير. لم تستطيع أن تخبر حسن بسبب إحجامها عن الاتصال بي أو مشاركتي ما عرفت. راحت تنظر عبر باب حجرتها إلى الصالة، حيث يجلس أسامة شاردًا في كتاب يمسكه، ولم يقلب صفحاته منذ نصف ساعة.

- أنت تعرف أنني لا ارتاح للتعامل مع لاشين.

- لأنه نصف شيطان؟

- لأن شيطنته تروق له. المهم.. ماذا أفعل؟

- بسيطة.. نركب المواصلات إلى الإسماعيلية. هل ذقتِ المانجو؟ رهيبة!

***

مع سادس كوب قهوة، استطعت أخيرًا أن أجمع تصوزًامعقولا لجزء من التسجيل الذي تختلط فيه العربية بالفرنسية مع لغة أخرى غير أرضية تدور على لسان بشر.

هذه اللغة الأخيرة تحتاج إلى تدقيق أكثر، لكن ما عرفت من الجزء المفهوم أثار قشعريرة شياطيني نفسها.

واروبال ماما. الشيطان الحبشي ساكن أعماق البحيرات.

الشيطان ذو الثمانية وثمانين خادمًا.

واروبال ماما، أو بصيغة أخرى «زار».

يقولون أن اسم «زار» مشتق من فعل يزور، ومقصود به زيارة الشياطين/ الجن للإنس والتسبب لهم في أمراض. لكن الذي قرأته في كتبي القديمة، أن زار هو اسم آخر لواروبال ماما الذي التف حوله عدد ممن قدسوه، وأنشأوا من عبادته طقوس الزار.

الأرقام لا تكذب.

الحواسيب لا تكذب..

هناك شيء متعلق بهذا اللعين يجري الإعداد له، والوعي الجمعي للشياطين والبشر يشير إلى هذا. ما سمعته من المايكروفون يشير إلى

هذا..

سهير في خطر، وللمرة الأولى لا أعرف كيف أنقذها، ومن أي شيء.

-«آدم.. انقذها من ضعفك الحالي..

آدم.. أنت لم تولد كي تكون شخصية ثانوية في حكايات بطولة الآخرين...

آدم.. أنت البطل في كل الروايات...»

***

تجلس سهير في المقعد الأخير للميكروباص بين حسن الجالس جوار النافذة الداخلية يشرب عصير المانجو من زجاجة سعة لتر ونصف، ودهبية التي تحتل مقعدين لظروف مرضها. كانت قد أصرت على أن ترافق سهير، وأصرت سهير -بنصف قلب- على ألا داعي للتعب. لكن سهير في الحقيقة كانت تبحث عن صحبة آمنة، وقد استعاضت عني بمراهق وامرأة مُقعدة.

أخرجت دهبية كيسًا بلاستيكيًا من حقيبتها، وناولت سهير منه شطيرة جبن رومي، وناولت أخرى لحسن وهي تقول:

- لقمة.. المشوار ما زال طويلًا. ثم أنني أرغب في أن أعرف ماذا تفعل بدر هذه هنا إذًا لم يكن الموضوع موضوع عمل يستخرجونه من الحديقة لم أرتح لهذه المرأة قط

يرن هاتف سهير، فترى اسمي هذه هي المرة الثالثة التي أتصل بها فيها بعد أن تجاهلت رسائلي ليتني أستطيع أن أنتقل آنيًا إليها.

كنت كذلك في طريقي إلى الإسماعيلية، لكنهم سيصلون قبلي. أتصل بهاتف حسن، لكن الأخير لا يرد. لا بد أنها طلبت منه ذلك.

يالعِندك يا سهير.. يالعِندك..

بعد ساعة تقريبًا، فقدت سهير قدرتها على مقاومة قراءة رسالتي، ففتحتها.

***

فتحت سهير الرابط المرفق، وحمّلت الملف الصوتي، ثم دسّت السماعتين في أذنيها وراحت تسمع أصواتِ تتحدث بلهجة ريفية مصرية عتيقة، لم تسمع مثلها من قبل في حياتها، إلا أنها مفهومة الأميرة المُسنة مريضة الأميرة تموت بسملات وحوقلات وقراءة قرآن

هناك من يأمر باستدعاء الطبيب.. حديث بالفرنسية لم أجد وقتًا لدبلجته بالعربية، لكن سهير فهمته نوعًا. الأميرة تموت والطب لن يجدي معها نفعًا.

همسات بين المصريين تتحدث عن الحل الأخير.

همسات بالتركية والفرنسية عن نفس الحل.. كفر؟ من قال ذلك؟! الزار يُخرج الشياطين من الأجساد، ومرض الأميرة القاتل قد سببه شيطان.. هذه هي أفاعيل الملاعين.

ما الضير في تجربة كهذه؟ لكن من سيكون مؤهلًا للقيام بهذا الطقس؟

من سيُسمح له بالدخول إلى قصر الخديوي إسماعيل؟

***

أغلقت سهير التسجيل الصوتي حين راح يهز حسن حقيبتها كي ينبهها، فنظرت له وأزالت السماعتين متسائلة.

- أبو علا يتصل بي. هل أرد؟

- طبعًا.

- عليكم السلام... حسنًا، نحن في الطريق. أستاذة سهير، القصر ظهر

مرة أخرى، وأبو علا يقول أنه يرى اثنتين من النساء إياهن هناك.

تصيح دهبية بصوتها الحاد:

- يا «أسطى»، هل اقتربنا من الموقف؟

يجيب السائق:

- دقائق ونصل.

شرعت سهير تنظف ملابسها من فتات الشطيرة، واستعدت للنزول سريعًا كانت تفكر في الجزء الذي سمعته من التسجيل، وعقلها يتساءل: ما الذي يدفعك لكل هذا يا سهير؟ ماذا تريدين أن تثبتي ولمن؟ تصحبين مراهقًا وامرأة مقعدة إلى مغامرة مجهولة؟ كم أنت أنانية!

نزلت سهير من الميكروباص، ثم أشارت لدهبية وحسن أن يظلا مكانيها. أخرجت بعض الأوراق النقدية من حقيبتها ناولتها لحسن وهي تقول:

- عودا إلى طنطا.

- ماذا...

تصيح سهير في حزم:

- اسمع الكلام يا حسن!

تسألها دهبية وهي عاجزة عن النزول من مقعدها دون مساعدة:

- ماذا حدث؟ نحن في مركب واحدة.

- حدث ما حدث، ولم نعد في مركب واحدة. هيا عودا، وسأطمئنكما عبر الهاتف.

وقبل أن يحتجًا، أشارت لسيارة أجرة، وألقت بنفسها فيها وهي تعيد تشغيل التسجيل..

الأوامر أن تُخلى قاعة القصر الرئيسية من كل ما فيها.

الأوامر أن تُصنع ثلاثة فساتين من أفخر الأقمشة، وثلاثة تيجان من الذهب الخالص لأجل الكوديات.

الأوامر أن يُدفع أجر كل منهن مائة جنيه ذهبي مقدمًا.

الأوامر أن يُمنع أي غريب من زيارة القصر، وأن تُشعل البخور بلا توقف في القاعة الرئيسية.

صوت الدفوف...

صوت الغناء بلغة غير مفهومة غريبة النطق لا تفسر فيها سوى اسم أحمد الهدندوي.

صوت أنين الأميرة وصرخات معاناتها...

صوت الأقدام الراقصة المزدانة بالخلاخيل...

***

تعالي نلعب بالعروسة...

دي سمرة وجميلة يا ريكوشا هانم..

***

تنزل سهير من السيارة الأجرة أمام المتحف، لتجد الحرس جميعًا واقفين ذاهلين أمام الحديقة، مع مجموعة من المارة الذين يرفعون هواتفهم المحمولة عاليًا في محاولة لتسجيل الصوت والصورة.

القصر واضح أمام العيان، شفاف لكنه واضح، يفترش مساحة الحديقة والمتحف وقسم الشرطة وجزء من الشارع.

يلمحها أبو علا فيهرع نحوها متحاشيًا النظر إليها بشكل مباشر، ويسألها:

- أين الأستاذ حسن والأستاذ الآخر؟

- لم يأتيا. أنا هنا. سأصور ما يحدث ثم نتكلم.

- لا أعتقد أنه يصح أن تتواجدي هنا وحدك.

تقول سهير في عصبية وهي تصوب كاميرتها نحو القصر:

- وحدي؟ وما أنتم؟ أشباح؟! لست طفلة.

يهز الرجل كتفيه وهو يبتعد عنها في ريبة. سهير ستنفجر قريبًا. أشعر بهذا ولا أستطيع التركيز في قيادة السيارة وأنا أتابعها.

تهمس لي شياطيني:

- «آدم.. واروبال ماما هو أملك في استعادة صغيرتك..

آدم.. سهير وحدها الآن..فرصة.. أسرع!»

***

تجلس سهير في نفس الكافيتريا التي جلسنا فيها من قبل، تحدق إلى ما صورته وتُكبر تفاصيل الصورة لتتمكن من رؤية التفاصيل بوضوح.

القصر واضح، ومن النوافذ ترى الدخان الأبيض يتصاعد، ربما هو بخور. ترى كذلك الدخان الأسود يحتشد فوق عشب حديقة القصر، ويعلو كالضباب حتى يغطي ارتفاع مترين.

الصوت كذلك واضح، وهو نفس صوت الإنشاد الذي سمعته في التسجيل. عبر إحدى نوافذ الطابق الأول ترى امرأة تعتمر شيئًا عاليًا فوق رأسها. تتمايل في هيستريا وهي تضرب صدرها. تستدير نحو النافذة وتتوقف عن الحركة، ثم تتقدم منها وتنظر نحو الحديقة. نحو الضباب الأسود..

تمسك سهير كوب الشاي بالحليب بين كفيها وتفكر في جدوى ما تفعل. هل هي حقًا بهذه الأنانية كي تترك أسامة يذوى كشمعة بينما

تدس رأسها فيما لا شأن لها به؟

تنزل سهير الكوب وتمسك بهاتفها المحمول. تسع مكالمات من حسن، ولا مكالمة من أسامة.

لقد أخبرته أنها ستسافر إلى الإسماعيلية مع حسن، فهزرأسه ولم يُعلق. كظمت غيظها في نفسها وخرجت وهي تتمنى ألا تعود مرة أخرى.

تتمنى أن يتوقف عن تجاهلها حتى وإن كان الثمن هو الموت. ربما نظرة أخيرة إلى جثتها سترضيها. لم أكن أعرف أن سهير ذات مزاج سوداوي إلى هذا الحد. ربما لم تكن كذلك، لكنَّ عامين في عوالم الخوارق قد غيرا فيها الكثير، كما غيرا في أكثر وأكثر.

تفتح الرسالة التي أرسلها لها مهاب وتحوي مكان إقامةبدر في الإسماعيلية. منتجع الزمرد، فندق رويال كانال.

كان مهاب قد أخبر وكيلة أعمال بدر أنه وكيل أعمال أمير خليجي ويريد الاتفاق فورًا على دور ملكي، فأخبرته المديرة أنهم خارج القاهرة، لكن بعد إلحاح على ضرورة سرعة الحجز وتسليم المال يدًا بيد، أرسلت له العنوان على أن يتقابلا في موعد محدد في لوبي الفندق.

مهاب واسع الحيلة، يجيد تقمص الأدوار، فقد عاش أعوامًا من بعد وفاة أخيه يتقمص دور الشاب اللاهي الساخر. لكم أحسده على خبرات مهر التي اكتسبها، وأضافت لموهبته المزيد من الإقناع.

حين وصلت الإسماعيلية، قصدت الفندق مباشرة، وحجزت فيه ليلة – لم أجد حجرات متاحة سوى جناح فاخر أقرب لفيلا صغيرة- ثم رحت أجول في المكان بحثًا عمن تصلح أن تكون بدر لدي فكرة مبدئية عن شكلها من صور خبر إلقاء القبض عليها، لكن الصورة كانت غير واضحة، وقد غطت بدر نصف وجهها بإيشارب خفيف وهي تحاول

الاختباء عن عدسة المصور.

هي ضخمة، داكنة السمرة. ربما هي صفات كافية تُبرزها وسط النزلاء.

مرّت ساعة تقريبًا قبل أن تنبهني شياطيني هامسة بصوتها اللزج:

- «آدم.. هناك شيء غريب عن يمينك..

آدم.. عند المسبح..»

التفت وفنجان قهوتي بين أصابعي، لأرى ما تقصد شياطيني. هناك مجموعة من السيدات من أعمار المختلفة، داكنات البشرة، ضخام الأجساد، يتقدمن من المسبح. تخلع بعضهن الأردية القصيرة الصيفية التي يرتدينها -لا أعرف ماذا تطلق النساء على تلك الأزياء الأشبه بإيشارب ضخم مزركش يلفونه بطريقة معقدة حول أجسادهن- ليكشفن عن ملابس سباحة من قطعتين، ثم يقفزن في المسبح، بينما تجلس الأخريات ممدات تحت المظلات، يدهن أجسادهن بواقي الشمس.

لم أر قط في مثل فتنة تلك الأبنوسيات...

يميل فنجان القهوة في يدي، فأشعر بالسائل يقطر على صدري.

تضحك شياطيني فألعنهم.

- «جميلات هن يا آدم.. هه؟ للسحرة نصيب من النساء الجميلات...»

- إخرسوا!

كل ما في الأمر أني لم أتوقع أن تكون هذه هي حياة الكوديات بعيدًا عن الزار. لقد عشت أعوامًا وسط الموالد، وأعرف أن الكوديات لا يختلفن كثيرًا عن أي نساء ريفيات. يرتدين نفس نوعية الملابس، ويرتدن نفس الأماكن. لكن بدر وفرقتها أقرب للأجانب في كل شيء. إذًا كن متنكرات في زي شعبي حين ألقي القبض عليهن.

ثرى أيهن مديرة الأعمال؟

لم أنتظر كثيرًا، حتى رأيت شابة بنفس اللون الداكن الخلاب، ترتدي بنطالًا من الجينز وسترة صفراء، تميل على أذن إحدى الجالسات وتحدثها. لا بد أنها هي المقصودة.

حين عادت إلى داخل اللوبي، هرعت إليها وحاولت استحضار أكثر شخصياتي أناقة وأنا أسألها مستعيدًا تفاصيل مكالمة سهير ومهاب السابقة:

أنا إيهاب عامر الذي اتصل بك أمس.

تنظر إليّ من أعلى إلى أسفل، ويبدو عليها القلق، لكنها تبتسم وتقول:

- أهلا وسهلًا. لماذا لم تتصل بي؟

- لقد فرغ هاتفي من الشحن، ولمحتك فقدرت أنك أنت الأستاذة فرح. كنت سأشحن هاتفي وأتصل بك.

- الأمير هنا معك؟

- كلا. لكنه سيأتي فور تحديد الموعد والمكان.

- المال معك؟

- حددي المبلغ الذي تريدينه وسأجلبه لك.

لمحتُ سهير تدخل من البوابة وتتعطل قليلًا ريثما يفتش الأمن حقيبتها الضخمة. أشرت لفرح أن نجلس كي نتحدث في التفاصيل على راحتنا في مكان أكثر هدوءًا. نظرت حولها عدة مرات وهي لا تعرف سبب خوفها مني، ثم أشارت نحو المصعد مقترحة أن نجلس في الجناح المخصص للعمل.

نظرت خلفي مرة أخرى وأنا أنتظر المصعد، فلمحتني سهير. أشارت لي بيدها، فتظاهرت أنني لا أراها. يناديها رجل الأمن كي تأخذ حقيبتها

بعد التفتيش، فترتبك، ثم تحملها مفتوحة على كتفها. يسقط منها كتاب، وميدالية مفاتيح يتدلى منها عشرات المجسمات الصغيرة لقطط، ثم تبعها جراب عوينات شمسية ومطهر وكمامات. لو لم تضع سهير الحقيبة على الأرض لتجمع ما سقط لرأينا جهاز بلاي ستيشن ومنضدة بلياردو يسقطان منها.

دلفت إلى المصعد مع فرح، فراحت سهير تنادي والباب ينغلق ويحول بيننا وبينها:

- لاشين! انتظر.

أخفض رأسي وأنظر إليها من فوق العوينات الشمسية، وأبتسم.

***

يبدو أنهم قد غيروا نظام محتوى الجناح، فجلبوا مكتبًا فاخرًا ليحتل القاعة السفلية. جلست فرح خلفه وهي تتفحصني وتسأل:

- قلت لي ما اسم الأمير؟

- لا أريد التصريح أكثر بمعلومات عنه قبل أن نتفق وأعرف منك كل التفاصيل.

كنت أحدثها بثقة وحدّة كي لا تجد فرصة لطرح المزيدمن الأسئلة. من وقت لآخر أنظر إلى ساعتي، وأزفر، كأنها تعطلني عن موعد هام.

- أستاذ إيهاب، هل لي أن أعرف ممَ يشكو سمو الأمير؟

- سرطان في مراحله الأخيرة، ورؤى غريبة متكررة عن شياطين تُعذبه. تلك الرؤى تتكرر وهو مستيقظ، وتدفعه أحيانًا للقيام بتصرفات لا يتذكرها بعد ذلك.

- وهل تؤمنون أن الزار سيساعده؟

- هو يؤمن بذلك، وكذلك زوجتاه. لكنه يفضل أن يقيم الزار في مصر،

بعيدًا عن الشوشرة التي ربما تطول سمعة أبنائه وهم ممن يديرون مراكز حساسة في بلدهم.

- حسنًا. لنرتب موعدًا لمقابلته بعد.. أربعين يومًا.

- هذا كثير. الرجل يموت! أنت تضيعين وقتنا. لماذا لم تخبريني أنكم مشغولون إلى هذا الحد؟

تمسح فرح بعض قطرات العرق من فوق شفتها العليا. يبدو أنني أفزعتها بشكل ما. تطلب مني أن أنتظر دقائق، وتقوم لتتحدث في الهاتف بلغة لا أعرفها.

هاتفي يئز في جيبي. سهير تتصل للمرة العشرين. دعها تتصل. دعها تجد لنفسها مخرجًا طالما تثق في إمكاناتها إلى هذا الحد.

تعود فرح، وتجلس خلف مكتبها. تتحاشى أن تتلاقى عينانا وتقول:

- للأسف لن أستطيع توفير وقت سوى بعد أسبوعين. صدقني هذا أقرب موعد.

- ولمَ التأخير؟

- ثمة زار ملكي آخر مشغولون به. لدي اقتراح، هل تحب أن تتولى الزار كودية أخرى غير الأخت بدر؟

- الأمير أرسلني للسيدة بدر ولا لأحد سواها.

- إذًا، لا مفر من الانتظار.

- ما رأيك لو أستطيع تبديل موعدي مع موعد الـ.. العميل الحالي؟ يمكنني أن أتواصل معه وأصل إلى تسوية.

- لا يمكن مقاطعة أيام الزار الملكي بزار آخر. لكني سأنقل طلبك للأخت بدر.

- سأنتظر مكالمة منك. خذي رقم هاتفي الآخر.

أمليتها رقم هاتفي وأنا أحمد الله على أن رعبها مني أنساها ضرورة أن يكون معي بطاقات عمل عليها أرقامي، بما أنني مدير أعمال محترف.

أتمنى ألا تلاحظ شيئًا بعد أن أرحل. أسالها وأنا أتجه نحو الباب برفقتها:

- أين تقيمون الأدوار في مصر؟

- في أي مكان يريده العميل، طالما توافرت فيه الشروط الأمنية.

خرجت إلى الرواق، واتجهت إلى جناحي مباشرة، وهو في نفس الطابق. نظرت حولي محاولا الاستمتاع بهذا البذخ وأنا أتصل بسهير.

جاء صوتها حاذا غاضبًا، فأبعدت الهاتف عن أذني وأنا أكتم ضحكاتي وضحكات شياطيني.

- اسمع يا آدم. لو تلصصت على ما أفعل مرة أخرى، فستكون عواقب هذا وخيمة.

- ماذا ستفعلين يا صغيرتي؟ ستقرأين آية الكرسي فأحترق؟ للأسف ما زلت بشريًا.

- ستعرف يا آدم ماذا سأفعل.

تغلق سهير الخط، فأرتمي على الأريكة الوثيرة مستمتعًا.في الماضي لم أكن أسمح لنفسي بإنفاق مال أبي الملوث على الرفاهيات، لكني اليوم مضطر. فلأستمتع إذا قدر استطاعتي.

غبت في النوم ففاتتني صلاة العصر، والصلاة كماتعرفون آخر خيط بيني وبين الآدمية، وهي ما تضع لي حدودًا مع شياطيني ومع استسلامي لمصيري.

قمت أتوضأ، فتململت الشياطين بداخلي، لكن سرعان ما انفرجت

أساريرها وهي تهتف بي:

- «هاتفك يا آدم.. فرح..»

باغتني صوت فرح العملي:

- هلا حضرت إلى المكتب؟

ذهبت إليها، لأجدها تمسك بهاتفها المحمول وتناوله لي وهي تقول:

- مكالمة لك يا.. أستاذ آدم لاشين.

أخذت منها الهاتف، لأفجأ بصوت مهاب على جهة الاتصال الأخرى يقول لي:

- أستاذ آدم. قلت لك ألا تحاول الحجز باسمي، أنا في مصر. هذا تجاوز عظيم قد تفقد وظيفتك بسببه. سأرسل أستاذة سمر زهران المسؤولة الإعلامية للأمير لتنهي الإجراءات. سلم كل الأوراق التي معك وأوقف العمل حتى آتي.

كانت فرح تنظر لي عاقدة ذراعيها، وشبح ابتسامة ساخرة على شفتيها. قلت لمهاب:

- أنت تعرف أنني أعمل لمصلحة الأمير فقط، وهو لم يشأ قط أن تتدخل في قراراته السرية. أنت من تجسست علينا.

- أنت مرفوت من اليوم.

يغلق مهاب الخط، فأسلم الهاتف لفرح وأنا غاضب بالفعل. تسألني:

- والآن؟

- كل شيء كما هو. أنا أحاول إنقاذ الأمير وإيهاب لا يهتم سوى بشكل العائلة.

- ولماذا اتصل بي من الأساس؟

- كي يغلق الباب أمامي، وأمام مصلحة الأمير. اطلبي منه المال ولو أرسله لك وقتها سيكون صادقًا. أنا سأدفع حالًا لو حددت الموعد والثمن.

يدق باب المكتب، فيفتح شاب أسمر الباب، لتدخل سهير وقد غيرت ملابسها لأخرى أنيقة. مدت يدها لفرح وهي تنظر لي بطرف عينها:

- سمر زهران. المسؤولة الإعلامية للأمير.

ثم أخرجت بطاقة أنيقة مكتوب عليها اسمها ومنصبها وأرقام هواتفها. نظرت فرح للبطاقة، ثم لي وقالت:

- لا أريد مشاكل. حِلا ما بينكما بعيدًا عن هنا من فضلكما.

تقول سهير وهي تجلس في ثقة:

- لا توجد أي مشاكل يا آنسة فرح نحن جميعًا في خدمة الأمير ربما لا يفهم أستاذ إيهاب ضرورة ما نفعله للشيخ عدنان في آخر أيامه، وأنا أقف في صف الشيخ وسلامته الجسدية والنفسية أنا مسؤولة عن قرار إقامة الزار، ولا مشاكل بيني وبين أستاذ لاشين.

- أعتذر يا أستاذة سمر. لكن يجب أن آخذ موافقة الأخت بدر أولًا بعد هذه المستجدات.

تقوم فرح وتتركنا. تنظر لي سهير رافعة حاجبًا شامتًا واحدًا. أجذب بطاقتها من فوق المكتب وأقول:

- مسؤولة إعلامية؟ من أين جئت بهذه البطاقة؟

- هل تظنني كنت آتية لمقابلة مديرة أعمال بدر دون أي إثباتات على شخصيتي؟ بعض الفوتوشوب قد يتفوق أحيانًا على ألاعيب الشياطين.

- أنت تحتاجين المال كي تدفعي لها ثمن الزار.

- من قال أننا نريد أن نقيم زارًا؟! نحن نماطل حتى نفهم ما يحدث.

عادت فرح برفقة رجلين غليظين شديدين وقالت بابتسامة لطيفة:

- ستمكث معنا يا أستاذ آدم معززًا مُكرمًا حتى يصل الأمير، ويمكنك بالطبع أن ترحل مع الأستاذة سمر لو وددتما الرحيل وإلغاء الاتفاق.

نظرت لسهير متسائلًا، فقالت:

- وما الداعي للاحتفاظ به معكم؟ لا أفهم هذا التصرف المُهين. هيا يا أستاذ آدم، لنرحل.

أقول وأنا أقف:

- مصلحة الأمير فوق كل شيء. ابدأوا الإعداد للطقس في أقرب وقت، وسأحول لكم ربع المبلغ المطلوب، والباقي بعد الانتهاء منه. أنا أقيم في نفس الطابق على أية حال، ولا أمانع في بقاء الرجال معي، أو بقائي معكم. يمكنك الانصراف يا أستاذة سمر، ولنبق على اتصال.

أقترب من سهير خطوة أخرى وأدس في كفها مفتاح جناحي دون أن يلاحظ أحد.

قالت فرح:

- ممتاز. سنرتب لقاء لكما مع الأخت بدر، ومع أميركما عبر تطبيق سكايب لنتفق على التفاصيل.

قالت سهير في ثقة:

- اتفقنا. سأرتب معه كل شيء وسأتواصل معك.

***

تعود سهير إلى دورة المياه لتجلب حقيبتها من عند إحدى العاملات التي نقدتها سهير مائة جنيه كي تحتفظ بحقيبة ملابسها معها ساعة أو اثنتين. ستر الله هو ما رتَّب وجودي، لذا أعطيتها مفتاح جناحي. أعرف

الحالة المادية لسهير، وأعرف أنها عاجزة عن دفع إيجار نصف حجرة هنا. لو كنا متزوجين لصار التحقيق نزهة زوجية لطيفة ننعم فيها بالفخامة معًا. بالطبع لم أكن لأجلب حسن معنا. سأرسله للنزهة في القطب الجنوبي حيث تمارس البطاريق اللاشيء.

مكثت في حجرة في الجناح الذين حبسوني فيه، أتسلىبإرعابهم بإطلاق شياطيني هنا وهناك. الرجلان الشديدان لم يفضلا الاقتراب مني كثيرًا، وإن أبقيا نظريهما عليَّ. الجناح مراقب بالكاميرات، ولا أعرف سبب كل هذا.

لم أكن قلقًا بشأن احتجازي هنا، فلن تكون بدر وفرقتها أسوأ من ديهيا ومخلوقاتها ومملكتها. الهرب سهل، لكني سأبقى وسأراقب.

أعرف أنهم قد أبقوا عليَّ لأنهم يشكّون بنا، ويعرفون أنني الأخطر، لكن صغيرتي لا يُستهان بها على الإطلاق.

***

جلست سهير إلى منضدة تُطل على المسبح، وقد غيرت ملابسها إلى أخرى أبسط.

وضعت سماعة الهاتف في أذنيها وراحت تحدث مهاب وتراقب بدر ونساءها الجالسات إلى منضدة كبيرة يتناولن عشاءً مبكرًا.

- التوتر يقتلني يا مهاب. لا أعرف كيف واتتني الجرأة أن أتصل بك وأطلب منك التصرف في أمر ما فعله لاشين. لم أتصور أنه يراقبني وسيتحرك أسرع مني.

- لا عليكِ يا أستاذة. لكني ما زلت أرى أنك قد تسرعتِ بإقصائي من هذا التحقيق. ممَ كنت تخشين؟ أنت جربتِ قدراتي الجديدة على الإقناع، والتي اكتسبتها من ذكريات مِهر. ألم يكن أفضل أن أصحبك ونحل المشكلات التي تطرأ سويًا؟

- لا أستطيع أن أتحمل فكرة توريطك أكثر يا مهاب بعد ما حدث معك. اعذرني. أنت تساعدني بالفعل، وربما أحتاج منك أن تقوم بدور الأمير العربي.

- أنا مستعد يا أستاذة. الأمير مُعتل ولا يستطيع الحديثكثيرًا. ربما جملة أو اثنتين احفظهما ستكونان كافيتين. ما خطتك؟ حسن لا يكف عن الاتصال بي.

- حمدًا لله أنهما ليسا معي. أنا أصور الآن بدر وبناتها. ثمة بخار أسود يخيم فوق المنضدة ولا أعرف كنهه. نفس المنظر الذي رأيته في صور القصر التي أرسلتها لك.

- هل استكملت سماع التسجيل الذي أرسله لك لاشين؟

- أوه! نسيت!

تنهي سهير مكالمتها مع مهاب مع وعد بالاتصال به لاحقًا، وتستكمل ما كانت تسمع من قبل.

مصريون يتحدثون عن الزار الذي استمر أسبوعين حتى الآن.

الأوامر أن يحملوا فراش الأميرة إلى البهو، ويضعوه جوار منقد النار.

الغناء بلغ غريبة يستمر، الطبول لها سمت إفريقي غير مألوف في الزار المصري.

صوت نسائي متحشرج يتحدث ببطء.

صوت الأميرة تصرخ، كلمات متناثرة عن الكودية التي حرقت ذراع

الأميرة بنار الزار.

صوت زئير قوي، ثم تدوي عبارة بالمصرية:

أنا زار، وقد تملكت الأميرة منذ خمس عشرة سنة، وأنا الآن أعلن عن نفسي وسأترك الأميرة حتى تعود إليها صحتها.

صوت خطوات مُكللة بالخلاخيل تتحرك. صوت همسات بلغة ما.

صوت امرأة مصرية تتساءل عما دهى الأميرة، ولماذا فقدت الوعي.

تعود الكوديات ويهنئن الأميرة على شفائها بصوت طبيعي،وبالمصرية. ثم تصرخن، وتلا صرختهن صوت ارتطام.

أصوات نساء مصريات يذكرن بعضهن بضرورة أن تأخذن البركة من الكوديات.

هرج ومرج..

صوت تحريك أثاث ثقيل، صمت...

***

تعرف سهير أن ما في التسجيل هو زار ملكي، يقام لمدة أربعة عشر يومًا، ترتدي خلاله الكوديات ملابس حريرية مخاطة بالمقلوب، وتيجان من الذهب الخالص. المفترض أن يتحدث الشيطان على لسان الكودية لو غادر جسد الممسوسة عن طريق الكي بنار الزار، ثم يحل في جسد الكودية التي تفقد الوعي للحظات، فيهرع الحضور لأخذ البركة منها.

لكن هل يخرج الشيطان من جسد الكودية بعدها؟

لم تمارس دهبية هذا الطقس من قبل، ولا تعرف عنه إلا ما أخبرت به سهير. الحقيقة أن هذا الطقس بتفاصيله ما هو إلا أسطورة في عرف نساء الزار، والدور الملكي المعتاد ما هو إلا دور يستمر لأربعة عشر يومًا، ينتهي بخروج الشيطان/ الجان من جسد الممسوسة ليحل في نار

الزار لا أكثر تبحث سهير عن اسم زار على الإنترنت المعلومات عنه لا تتعدى سطرًا واحدًا، ولا توجد مراجع أخرى تذكر أي شيء مؤكد. الإنترنت ليس المكان الأفضل للبحث عن أسرار الظلام.

لكنها تذكر جيدًا أنها سمعت وسط اللغة الغريبة كلمة «واروبال ماما»، فتستعيد ما عرفته عنه من كتاب البلهان وترتجف.

تنظر سهير أمامها لتجد بدر تقوم وتتبعها الفتيات الأخريات. تضع سهير حساب مشروبها وتسير على مسافة منهن، تراقبهن. تركب بدر وشابة أخرى المصعد، بينما تبتعد الأخريات إلى جهة السوق التجاري.

يتوقف المصعد عند الطابق الثاني عشر. تتجه سهير نحو خارطة الطوابق المعلقة جوار المصعد. الطابق الثاني عشر خاص بإدارة الفندق.

تنظر إلى ساعتها لتجدها السابعة مساء. لم يتصل بها أسامة ولو مرة واحدة، بينما اتصلت بها رانيا مرة، وشريف مرتان. الأخير كان حانقًا كونها ذهبت لتحقيق ولم تصحبه معها.

تلف سهير ذراعيها حول جسدها، وتشعر بالوحدة. بالبرد. تتنهد وتتصل بأسامة.

- أسامة. كيف حالك.

- هيرو.. كان حال الإسماعيلية.

- الإسماعيلية بخير.

- هل انتهيتِ بعد؟

- كلا. سأبيت هنا الليلة.

- أين؟

- في فندق رويال كانال.

- وحسن؟ ودهبية؟

- ليسا معي. طلبت منهما العودة. كنت حمقاء حين دعوتهما. سيؤذيان نفسيهما وسيعرقلاني.

- لحظة، حسن ليس معك؟

- أجل. منذ وصلنا.

- جدته اتصلت بي تسأل عنه، وقد شعرتُ أنه يكذب عليها بشأن كونه معك. كان مرتبكًا وحين طلبت أن تحادثك أخبرها أنك مشغولة وستتصلين بها لاحقًا.

- عمَّ تتحدث؟ أين ذهب حسن؟ لقد اتصل بي أكثر من مرة، لكني لم أشأ أن أرد عليه كي لا يلح عليَّ في العودة. اتصل بمهاب وسأل عني. سأتصل به. سلام..

أغلقت سهير الخط سريعًا، وراحت تتصل برقم حسن، الذي كان مغلقًا أو غير متاح. أطلقت سبة بريئة من بين أسنانها على غرار -يا للحمار- ثم اتصلت بي.

- آدم..

- حسن مفقود.. أعرف.

- تعرف؟

- سمعتك تحادثين أسامة.

- سحقًا لك يا لاشين.. لا أريد أن أعرفك مرة أخرى. اتركني في حالي!

- أنت من اتصلت بي.

يبدو أنني قد تماديت في مزاحي، أغلقت الخط. ثم أخرجت مفتاح سيارتها لتفطن أنها ليست معها. اتصلت بها مرة أخرى وقلت بصوت

عملي:

- اهدأي يا سهير. أين ستذهبين الآن؟ سأطلب منهم إلغاء الاتفاق، وسنذهب للبحث عنه معًا بسيارتي. لا تقلقي. لدي طُرُقي..

***

خرجت من الحجرة التي احتجزوني فيها، وطلبت من أحد الرجلين أن أقابل فرح للضرورة. اتصل أحدهما بها وناولني الهاتف.

- أستاذة فرح. يجب أن أغادر الآن لأمر طارئ.

للأسف لن يمكنك ذلك. ليس قبل أن تقابل الأخت بدر.

- هناك مشكلة في العمل. اعتبري أنني ألغي الاتفاق.

- والأمير؟ ومصلحة الأمير؟ والأستاذة سمر زهران؟ والأستاذ إيهاب عامر؟

- الأمير يحتضر. لا داعي للزار. الغي كل شيء.

- لن تغادر قبل أن تلقى الأخت بدر.

أغلقت فرح الخط، وسدَّ الرجل الضخم عليَّ طريق الخروج. هل أستخدم القوة الآن، أم أنني سأكشف سهير وسألحق الأذى بها؟

عدت إلى حجرتي وأرسلت لسهير رسالة أخبرها فيها بما حدث، وأطلب منها أن تلتزم الحرص.

بعد نصف ساعة، اصطحبوني إلى المكتب، وقد شممت بدر قبل أن أراها. هي امرأة ضخمة، لها بناء عضلي قوي، ولون داكن غريب. عمرها قد جاوز الخمسين ببضعة أعوام، وقد تهدل جسدها في أكثر من موضع، لكنها كانت ترتدي بذلة شديدة الأناقة وتلف رأسها بإيشارب نصف شفاف من خامة لامعة.

عطرها خشبي مبهر، يحمل في إحدى نوتاته وجوم رائحة العود.

أشارت لي فرح أن أجلس، فجلست، وشغلت مُسجل هاتفي المحمول في جيبي.

ابتسمت بدر وقالت:

- مهندس آدم لاشين. كيف حالك؟ طلبت ملاقاتي.

- أهلا بك. يبدو أنك سألت الاستقبال عني.

- أقل ما نفعله هو أن نتأكد من هوية عملائنا. نحن نقدم خدمات ترفيهية احترافية، ونقيم حفلات عامة في دول عديدة. ندفع ضرائبنا ونحافظ على خصوصياتنا. لا يوجد ما نخشاه. لكننا لا نحب الفضوليون، ولا السحرة.

- أنا لست فضوليًا. جئت كي..

- لكنك ساحر. السحرة أغبياء. يعتمدون بشكل غريب على قدراتهم السحرية، ويغفلون عن قدرات الإنسان العادي.

أخرجت من حقيبتها أحد كتبي بعنوان كاهنة الأوراس، ثم أردفت:

- يبدو أنك نسيت شهرتك يا عزيزي، تلك التي وصلت متجر الكتب هنا. والآن ماذا تريد منا؟

- ماذا تريدين أنت من احتجازي هنا؟

- لا شيء فضول كل من قابلك شعر أنك لست على ما يرام، وأنت تعرف أن بعض الشياطين يتبعوننا بهدف الانتقام أو عقد التحالف في البداية توقعنا أن تكون ممسوسًا من شيطان علوي، لكن الإجابة مُفصلة جاءتنا على طبق من ذهب.

ألقت بالكتاب على المنضدة بيننا، ثم أردفت:

- ماذا تريد منا يا لاشين؟ أنت حالة فريدة، لكني لا أرغب في أن أحبسك مثل ديهيا، ولا أن أتخلص منك مثل الشياطين. أخبرني ماذا

تريد وسأدعك ترحل. لا وقت لدي لفعل أي شيء بخصوصك.

تراجعت في الأريكة فأسندت ظهري إليها، ووضعت ساقًا فوق ساق وأنا أقول:

- ماذا كنتن تفعلن في الحديقة؟

- لماذا تسأل؟ ماذا تريد من إجابتنا؟

- واروبال ماما. أين هو؟

- كيف عرفته؟ كيف عرفت هذا الاسم؟

أومأت نحو الكتاب وأنا أقول:

- يبدو أن البشر العاديين أغبياء، يعتمدون كثيرًا على قدراتهم البشرية، ويغفلون قدرات الساحر نصف الشيطان.

ضحكت، فرنّت ضحكتها في عنان سقف الجناح المرتفع حتى كدت أرى كريستالات الثريا الفاخرة تهتز.

- أنت لطيف. في ظرف آخر كنت سأعرض عليك الزواج.

لكني بالفعل مشغولة للغاية. ماذا تريد من واروبال ماما؟

- ستستحضرونه في زار ملكي؟ هل هو متلبس بشخص ما هنا؟

- هذه تفاصيل عملنا. تريد قتل واروبال ماما؟ تريد ابتلاعه؟ هل تعرف من هو في الأساس؟ أشك.. لكني سأخبرك أمرًا واحدًا يا سليل هاجوب لاجين. جسدك الأبيض ليس مُعدًا لاحتمال زار. وزار لا يأتي وحده. ومعلومة أخيرة... أنت لست الأول، ولا الأخير.

قامت بدر فدسّت حقيبتها تحت إبطها، وقالت:

- نحن نعرف كيف نُخرج الشياطين من الأجساد. نحن أحباش، من نسل كوديات نقي منذ مئات الأعوام، فلا تستهن بنا. سويعات وينتهي

كل شيء، وقتها يمكنك أن ترحل، لكن ليس قبل ذلك.

حين استدارت لتغادر، أخرجت هاتفي سريعًا وأرسلت التسجيل لسهير، ثم جلست في برود ورسمت ألعن ابتسامة شيطانية على وجهي وأنا أقول للرجلين:

- لا داعي للتمثيل إذًا. ما رأيكما أن نتسلى قليلًا؟

***

هرعت سهير لأحد المحال، فاشترت عباءة خليجية وحذاء عالي الكعبين وإيشاربًا، وأحمر شفاه فاقع اللون، ثم دخلت دورة المياه مرة أخرى لتغير ملابسها. لن تغامر بالعودة إلى جناحي بعد انكشاف أمرنا.

سألتها عاملة النظافة:

- هل تريدين أن تتركي حقيبتك هنا؟

- طبعًا. شكرًا لك.

- ماذا تفعلين؟

- أراقب زوجي الخائن. أنت تعرفين هذه الأمور.

قالت المرأة وهي تدس المائتي جنيه في حقيبتها وتقول بصوت عالٍ: «منها لله الرجالة»، ثم راحت تحكي عن زوج ابنتها وزوج خالتها، وزوج جارتها.

- بكَم أحمر الشفاه هذا؟

- خذيه. لا بأس.

- تسلمي يا غالية. لا بد أن زوجك سيحضر حفل اليوم كل الرجال يحضرون تلك الحفلات.

- أي حفل؟

- حفل فرقة الست بدر. معها نساء يحللن من على حبل المشنقة. يحب الرجال مراقبتهن من وراء نسائهن.

- وأين سيقام هذا الحفل؟

- في المسرح. المبنى المقابل. لو لن تحتاجي الإيشارب مرة أخرى فأختك في الله عزة تحتاجه.

- حين أعود سأعطيكِ كل ما تريدين.

وخرجت سهير بينما تتابع أختها في الله عزة خطواتها المتعثرة في حذائيها العاليين وتتصعب وهي تهمس:

- منها لله الرجالة.. نصرك الله يا أختي.

***

الفصل الثاني

-1-

البحيرة ٢٠٢٢

تقول لي شيرين هنائي وهي تستقبل قطًا آخر -أظن اسمه صبحي- إلى جوارها:

- وماذا حدث لحسن ودهبية؟

- أنا أحكي لك بأسلوب الراوي العليم منذ بدأنا هذه السلسلة، لكني الآن فقدت علمي إلا فيما يتعلق بسهير، لذا لم أكن أعرف وقتها ماذا يفعل الآخرون.

- ماذا لو انتقلنا بالفعل لأسلوب الراوي العليم الحقيقي ولندع القراء يعرفون ماذا يحدث لجميع الأطراف في نفس الوقت.

- بمعنى؟

- سأكتب ما علمته أنت متأخرًا في وسط الأحداث. ما رأيك؟

- أريد أن أجادلك، لكني كذلك أريد الانتهاء من هذهالجلسة سريعًا كي أعود إلى معملي في أقرب وقت. افعلي ما تشائين. سأحكي لك ما عرفت لاحقًا، وأتمنى ألا يعترض ناشركم على هذا التغيير في الأسلوب.

- سيعترض، ثم سيقتنع. لا تقلق.

أبعدت القط المُسمى كراولي بطرف حذائي، فقد كان متحمسًا لتمزيق سروالي، وبدأت أحكي التالي...

***

قام أسامة ينادي على شريف بصوت هادر قلما يؤلَف عنه:

- شريف.. شريف!

يهرع شريف من غرفته متوقعًا مصيبة.

- أبي.. ماذا حدث؟ أمي بخير؟

- لا أعرف.. أنا ذاهب إلى الإسماعيلية.

- الآن؟ ماذا يحدث؟

-لاشين.. يبدو أنه ورط أمك وحسن في مصيبة. الأخير اختفى وهاتفه غير متاح. أحضر لي مفاتيحي و.. المحفظة...

- أبي، ستنزل بالبيجامة؟

نظر أسامة إلى الأسفل ليرى بنطال البيجامة والخفين في قدميه. اتجه

إلى غرفته وهو يستند إلى الأرائك والمقاعد. قال شريف وهو ينادي أخته:

- رانيا.. تعالي بسرعة. أبي، هل أنت بخير؟ وجهك محتقن..

- لا أعرف.. شريف.. غير ملابسك وتعال معي.

***

يأتي أبو علا من داخل المتحف حاملًا هاتف حسن المحمول في يده وهو يهتف:

- لقد أتم هاتفك الشحن. هل نسيته أم ماذا؟

يقول حسن وهو جالس جوار دهبية في الحديقة أمام عدد من الخفر، وقد اتسخت ملابسه وابتل شعره بالعرق:

- كنت منهمكًا. شكرًا لك.

- هل وجدتما شيئًا؟

تقول دهبية وهي تتفحص ما فوق عباءتها السوداء من بقايا عظام وقماش:

- لقد أقيم زار في هذا القصر.. هذا واضح وقد سمعتم جميعًا الإنشاد. لكن ما حضر لم يُصرَف... حتى الآن. هاته النسوة كن هنا لأجل شيء يساعدهن على صرف من حلّ بالقصر على ما أظن.

يسأل أبو علا:

- لكن لماذا الآن بالذات؟ يقول حسن أن القصر قد هُدم منذ زمن.

- لا أعرف لماذا الآن، لكن متأكدة أن... حسن، حاول الاتصال بسهير أو أرسل لها رسالة. تُرى أين هي؟

ما أن فتح حسن هاتفه حتى وصلته عشرات الرسائل تنبئه بمحاولات

اتصال مهاب وأسامة ولاشين وسهير وجدته. لقد غاب أكثر من أربع ساعات، وانهمك في رحلة البحث في الحديقة.

ابتعد حسن ليتصل بسهير، فجلس أبو علا على مسافة من دهبية وسألها وهو يتحاشى النظر إليها:

- أنت كودية زار؟

- لقد أخبرتك مرتين. أنا كودية زار، وانظر لي حين تتحدث إليَّ. هل أنت خَجِل؟!

- لا.. أبدًا.. أنا فقط لا أستوعب سبب مرافقة كودية زار لطالب آداب وصحافيين.

- قل لي.. هل هنا مكان يمكن شراء دفوف منه؟ وبخور؟ ودجاج حي؟

- هه؟ بالتأكيد، لكن.. لماذا؟

- هل توجد هنا حجرة قريبة من الحديقة؟ تطل عليها مباشرة؟

- أجل.. مكتب الأمن في المتحف. لكن...

- أريدك أن تكتب ورائي ما أمليه عليك، واشترِه لي فورًا.

***

تهرع سهير إلى المسرح لتسأل عن موعد الحفل، فيجيب رجل الأمن:

- الحفل في التاسعة مساءً. يجب أن تقطعي تذاكرك عبر الموقع الإليكتروني للمنتجع. لا توجد تذاكر هنا للبيع.

تبتعد سهير وتقف إلى جوار حائط. تدخل على الموقع الإليكتروني، لتكتشف أن حجز التذاكر يتطلب إدخال صورة من تحقيق الشخصية. هل تُدخِل صورة بطاقتها؟ هل تراجع بدر أسماء ضيوفها؟ هل أبلغت إدارة المنتجع باسمها باعتبارها دخيلة؟

لقد عرفت بدر حقيقتها وحقيقة لاشين، وعليها أن تقلل قدر الإمكان من عشوائية تحركاتها.

يتصل حسن بها، فترد فوزًا وقد تغلب عليها حس الأمومة:

- أنت يا ولد! كيف تعصى أمري؟ ألا تشعر بأي مسؤولية؟! أنت حقًا طفل لا أكثر!

- أستاذة سهير.. أولًا أعتذر لك، ثانيًا أنا بالفعل أشعر بالمسؤولية ولم أكن لأظل في الإسماعيلية ما لم تختاريني لمرافقتك في البداية. كيف كنت سأعود وأنا أعرف أنك قد تكونين في خطر؟

- وكيف ستنقذني إن كنت في خطر؟!

- الست دهبية معي.

- أنت لم تخبر جدتك أنك لست معي والآن هي تسأل عنك الجميع! أنت مستهتر يا حسن. عُد إلى طنطا الآن. سأتصل بشريف ليقابلكما في الموقف.

- لن نعود من دونك. الست دهبية تعتقد أن الوضع في الحديقة العامة له صلة عظيمة ببدر وما يحدث عندك. أخبرينا بكل ما تعرفين كي تستطيع التصرف. هناك شيء ما قد حضر أيام الخديوي ولم ينصرف، وهي تزعم أنه شيء أكبر من قدرتنا جميعًا...

تنهدت سهير وأخبرت حسن أن ينتظر منها رسائل فيها تسجيل لما التقطه المايكروفون، بالإضافة إلى ملخص سريع عن الوضع الحالي.

أرسلت سهير الملفات، واقتربت مرة أخرى من رجل الأمن تسأله:

- هل يمكن أن التقط بعض الصور قبل العرض مع فرقة بدر؟

- لا أعرف. إن صادفتها خارج الكواليس اطلبي منها هذا. الكثيرون يلتقطون الصور معها.

- وأين الكواليس؟

- من هنا..

أشار إلى رواق منير محفوف بنباتات الزينة يبدو أنه يقود إلى ما خلف مبنى المسرح. شكرته سهير وراحت تتعثر متجهة إلى الرواق.

***

-٢-

أنظر إلى الحارسين الشديدين الواقفين أمامي خلف صحن البخور النحاسي، يمسك أحدهما ديكًا أسود اللون كأنه مدفع آلي. لا أعرف ما التهديد الذي يشكله هذا الطائر، لكن من البداية كان هناك بقايا عظام طيور في الحديقة، مما يدفعني للظن أن طريقتهم في التعامل مع كيانات الظلام تحتاج إلى شيء كهذا.

شياطيني خاملة، لا ترى أي تهديد يستحق التنشيط. منذ ما حدث لي في الولايات المتحدة وتفاعل شياطيني وصلتهم بجسدي اختلفا.

أعرف أنني صرت أضعف، لكن لا أحد يعرف ذلك ما زال الخوف يملأهما تجاهي

لم أجد تصرفًا أفضل لإثارة ريبتهما سوى أن أقوم بهدوء متجهًا إلى دورة المياه، توضأت فبدأت شياطيني تتململ، ثم خرجت إلى البهو مستقبلا القبلة، وشرعت اصلي .

- «آدم.. أنت تصلي لتستفزنا، هه؟

آدم.. أنت حقير لعين، ولن يتقبل ربك صلاتك لأنك لا تصليها له.

أنت تصلي لنا..

تصلي لنا يا آدم لاشين.. تصلي كي نساعدك»

يضحكون، فيقشعر جسدي. مرة أخرى يضربونني بكلامهم في مقتل. هل أستعين بالله الآن أم أستعين بهم؟ هل هم جزء مني أم هم شياطين ملعونة ذات كيان مستقل.

- «لو كنت في كامل قواك يا آدم ما كنت لتصلي الآن..»

لكني أستمر في الصلاة، أجتهد كي يصل ما أفعل لله، أناديه، وأخشى أنني أنادي شياطيني..

الثريا الضخمة فوقنا تهتز. بعض قطع الزينة من الكريستال تتساقط عن أرففها لتتهشم. يتحدث أحد الرجلين الآخر بلغة لا أعرفها، ويذبح الديك. لا أعرف ماذا يفعل به بالضبط لأنه يقف في البقعة العمياء من مجال إبصاري.

يبدأ الرجل في الغناء مترنمًا بشيء مثل:

أحمد البشير الهدندوي..

اللباس الطويل يا الهدندوي..

راكب الهجين يا الهدندوي..

سوطك الورويز يا الهدندوي..

من خلفي يباغتني أحدهما، ويحيط سبابة كفي الأيسر بخاتم ذي فص داكن الزرقة. أسقط أرضًا، وتردد شياطيني:

- «راكب الهجين!.. آدم.. اخلع خاتم الزيران!»

لم يعد لي تحكم بجسدي. أنا ملقى كالجثة على الأرض، يُصب في فمي دم الديك المذبوح مباشرة من شرايين رقبته.

- «آدم.. راكب الهجين سيحضر في جسدك.. تصرف!»

***

تصور سهير الكواليس من الخارج، وتلاحظ الضباب الأسود الخفيف يخيم على العشب أمام المبنى. تتساءل إن كان هذا يعني أن بدر هنا أم لا.

تدور بكاميرا هاتفها المحمول، وتفطن إلى أن الضباب يغطي مساحة ضخمة من محيط الفندق. إلى أين يصل؟

تسأل أحد رجال الأمن إن كانت فرقة بدر في الكواليس، فيخبرها أن بعضهن هنا وبعضهن في الفندق بعد. تسأله عن بدر نفسها، فيقول:

- احضري الحفل لتشاهديها. ممنوع الدخول.

تعود أدراجها وتتبع الضباب. لا أثر لوجود شيء آخر سوى هذا. تتصل بحسن مرة أخرى، فتجيبها دهبية مباشرة:

- أخبريني من هو واروبال ماما هذا؟

- شيطان يسكن إحدى بحيرات الحبشة، وله ثمانية وثمانون خادمًا. مذكور في كتاب قد قرأته من قبل.

وكانت سهير تقصد كتاب البُلهان، الذي استولت عليه مني وحفظت محتواه هي وابنها، وأعادت رسم ما به بنفسها ثم تخلصت منه.

- هذا اسمه؟ أقدم اسم له؟

- ليس الاسم الوحيد. هو چآر، كبير آلهة الكوشيين.

- يا الله! ما الذي تورطتِ فيه يا مدام سهير!

- ست دهبية، اتركي كل شيء وعودي إلى طنطا مع حسن.

- وأتركك؟ وأترك اللعينات يستحضرن شيطانًا بهذا الحجم؟ كنت أظننا نتحدث عن الجن وخدمهم لا أكثر. هذا ليس زارًا يا مدام سهير. لا أعرف ما هو، لكنه ليس زارًا!

***

يقود أسامة سيارته العتيقة، بينما يجلس شريف جواره واضعًا الحاسوب المحمول الخاص به على فخذيه.

يسأله أسامة:

- وهل تطبيق واتساب الخاص بوالدتك متصل بجهازك دومًا؟

- أجل. هي تفتحه أحيانًا من هنا.

- لماذا لا تفتحه من حاسوبنا؟

يصمت شريف، لكن أسامة يفهم السبب الآن فيتنهد ويضرب بيده على المقود. هو وسهير يستخدمان نفس جهاز الحاسوب المحمول، وبالطبع هي لا ترغب أن يرى مراسلاتها. يقول لنفسه أنها لم تكن لتسمح أن يقرأ ابنها هذه المراسلات إن كان فيها ما يشين. لكنه لا يجد لنفسه عزاءً كافيًا في هذا.

سهير لا تثق به، وتخفي ما تفعل عنه هو بالذات.

- هل وجدت شيئًا يفيدنا؟ لا أريد معرفة التفاصيل.

- هناك ملف صوتي أرسله لها لاشين. هل تود سماعه؟

- لا. احك لي الملخص.

- سأسمعه...

يصل شريف سماعتيه بالحاسوب المحمول، ويسمع. ينعقد حاجباه وهو يتمتم..

- واروبال ماما.. هل تعرف أمي حقًا ما هي ذاهبة إليه؟! أبي.. دعني أنا أقد..

***

تجلس سهير على مقعد حجري أنيق قريب من المسرح المشاهدون يتوافدون في ملابسهم الفاخرة الصيفية الأقرب لملابس الشاطئ، تتدلى على صدورهم قلادات موحدة من الأصداف.

تضطر سهير لخلع عويناتها الشمسية التي تخفي ملامحها، فارتداؤها ليلًا سيكون بمثابة سهم مضيء فوق رأسها يشير إليها. قدماها تؤلمانها، فلم تكن الأحذية عالية الكعبين مما تألف.

المشكلة الأساسية الآن هي أنها لا ترى جيدًا بدون عويناتها الطبية أو الشمسية ذات العدستين الطبيتين. كل شيء حولها مجرد أشباح، ولو ارتدت عويناتها الضخمة المميزة لفسد تنكرها.

تفتح كاميرا الموبايل وتنظر إلى ما حولها من خلالها. لا شيء يريب. عند النهاية البعيدة من الممر، وبالقرب من الكواليس، ترى سهير من خلال الكاميرا امرأة ورجل أنيقان يتحدثان مع فرح. تُقرب سهير المشهد أكثر لترى الأخيرة تناول المرأة كيسًا ورقيًا كبيرًا، فتبتسم المرأة، ثم ترحل برفقة الرجل.

يرن هاتف سهير، فتُذعر وتتركه ليهوى في حِجرها، ثم تمسكه سريعًا وترد:

- شريف..

- أين أنت؟

- ماذا حدث؟ أنتم بخير؟ هل اتصل بك حسن؟

- نحن بخير. هل تذكرتِ واروبال ماما؟ الصفحة رقم تسعمائة وستة وستين؟

- تذكرته طبعًا. لحظة، أنت سمعت الملف الصوتي على واتساب؟

- أنا وأبي في الطريق إليكِ. لا تفعلي أي شيء واتركي لاشين يتصرف.

- لاشين مُحتجز.

- من احتجزه؟ وكيف؟

يقترب رجل الأمن الذي كان يقف عند الكواليس من سهير ويسألها في شك:

- سيدتي، ماذا تفعلين هنا؟

تنظر إليه سهير وتغلق الخط وهي تجيبه:

- أنا فقط شعرت بدوار، فقررت أن أجلس قليلًا.

- أنت تحومين حول المكان هل لي أن أرى هويتك؟

- لماذا؟ أنت حارس أمن، لا شرطي كيف تعاملون النزلاء بهذه الطريقة؟! لي حديث آخر مع مدير المنتجع

- هو هناك، يمكننا الذهاب إليه سويًا لو ترغبين .

أشار الحارس نحو الرجل الذي كان برفقة المرأة خلف الكواليس، وقد كان يتحدث إلى بعض معارفه كما بدا لسهير من وقفته المُرتاحة.

هو رجل في الخمسينات، رغم ابتسامته التي تكشفعن صفين من الأسنان مُبيضة صناعية حتى كادت تضيء ذاتيًا في الظلام، إلا أن عينيه مهمومتان.

تبتلع سهير ريقها في توتر، ثم تُخرج بطاقتها الشخصية الحقيقية. لا مفر من الكذب. ينظر الحارس إلى البطاقة ثم إليها ويقول:

- حسنًا. ممنوع الجلوس على هذه المقاعد في وقت إقامة الحفلات. احترازات أمنية.

أخذت سهير البطاقة منه وهي تقوم مغادرة:

- سأرحل من الفندق كله، لكن ليس قبل أن أقدم شكوى عن طريقة

تعاملكم مع النزلاء.

- في أي حجرة تنزلين يا سيدة سهير؟

- ليس من شأنك. أنت حارس، لا شرطي.

تغادر سهير على ساقين راجفتين، وقد تدفق الدم كله إلى رأسها فراحت تنبض. هل ترحل وتتركني؟ هل تغادر وهي على مسافة دقائق من إقامة طقس غريب يرتجف له قلب سيدة مثل دهبية؟

هل تترك واروبال ماما يعود؟

***

ثمة شيء يتسلل إلى جسدي، إلى خلاياي..

-«آدم.. راكب الهجين... سيقتلنا.. سيقتلك»

شعور غريب، مختلف. القادم ليس شيطانًا.. ليس شيئًا أعرفه. الألم كذلك مختلف. أشعر أن لحمي يُسلخ عن عضلاتي، لكنه ليس ألمًا مزعجًا.

جذوة بداخلي تنطفئ.

لطالما كنت أسيطر على شياطيني، لكني لن أترك هذا القادم يسيطر عليَّ.

يقول الشاب الأسمر الضخم خلفي:

- اهدأ واترك الهدندوي يشفيك. استسلم له.

طعم الدماء في حلقي غريب.

ثم فجأة يبدأ السوط في إلهاب جسدي. أتلوى دون إرادة مني.

يتحدث أحد الرجلين عن أن الديك يتحرك.

الديك المذبوح يتحرك، ويزأر..

***

تهرع سهير إلى الحمام بوجه ممتقع، فتلقاها عزة.

- ماذا حدث؟! هل ضبطتِه؟!

- من؟ أجل... هو يخونني..

- حسبنا الله ونعم الوكيل.

- عزة، هل يمكن أن... أن أمكث في الحمام وحدي؟ أريد أن أبكي قليلًا.. أنت تعرفين هذه الأمور.

- لكن..

- لن أحتل الحمام كله. فقط هذه...

تشير سهير إلى الكابينة الأخيرة من صف الكبائن، ثم تُخرج مائتي جنيه أخرى وتردف:

- ولن أنسى أن أعطيكِ الإيشارب وأحمر الشفاة. هل تريدين الحذاء؟ مقاس ٣٧..

- شكرًا يا مدام، أنا في الخدمة دون أي شيء. تفضلي.. لن يزعجك أحد. هاك علبة مناديل كاملة، ولو أردتِ شيئًا نادي أختك عزة.

تدخل سهير الكابينة وتغلقها عليها، ثم تبكي. الضغط أكبر مما تتحمل. هي قلقة على زوجها وابنها وحسن، وقلقة عليّ.. هي مُطاردة وخائفة ولا تعرف كيف تتصرف إلا بطريقة لم تشأ أن تلجأ إليها قط. وليتها متأكدة من جدواها.

فتحت حقيبتها وأخرجت الحجرين الأسودين البراقين. أغلقت عينيها ووضعتهما فوقهما وهي تميل برأسها إلى الخلف. ما زالت الدموع

تتدفق وتنزلق إلى أذنيها وشعرها، لكن لا وقت..

تحاول أن تُركز على أمر واحد، لكن أي أمر تختار؟ حالتي أو حالة حسن ودهبية أم ما تفعله بدر أم...

لا شعوريًا يختار عقلها –لا أظنه قلبها- الرجلين في السيارة التي تقطع الطريق المظلم بسرعة جنونية لا يقدر عليها سوى شريف.

كيف يسمح أسامة لشريف أن يقود بهذه السرعة؟

أسامة يسند رأسه إلى زجاج النافذة جواره، ويبدو عليه الإعياء. تتسارع دقات قلبها فتزيل الحجر من على عينيها وتتصل به. لا يرد. تتصل بشريف..

- شريف، أبطئ السرعة قليلًا!

- أمي؟ كيف عرفتِ؟

- قلب الأم.. ناول الهاتف لأبيك.

ينادي شريف أباه، فيأخذ أسامة الهاتف ويرد بصوت واهن:

- سهير.. ماذا تفعلين؟ أين أنت؟

- ما بك يا أسامة؟ هل أنت مريض؟ بمَ تشعر؟

- أنا بخير. فقط إرهاق. أين أنت؟

- لا تقلق. أخبرتك أكثر من مرة أنني سأكون بخير يا أسامة، والآن أراك تطير وشريف إليّ وتتركان رانيا وحدها.

- عمر لن يؤذي رانيا يا سهير وأنت تعرفين ذلك. أنت في خطر، ولا تتوقعي مني أن أتظاهر بعدم الاكتراث أكثر من هذا. ما يحدث فوق طاقتي على الاحتمال..

آخر عبارة صدرت منه كانت بصوت عالٍ غاضب لم تسمعه سهير من

قبل من زوجها. تتنهد وتطلب منه أن يهدأ، وينتظرها في المتحف.

- لن أنتظرك في المتحف يا سهير. لست سائق أجرة توجهينه حيث تشائين. نحن قادمان إليكِ، ولو لم تخرجي لنا وقت وصولنا سنتصل بالشرطة.

- أسامة! لستُ مخطوفة! والشرطة ستحاسبنا كما ستحاسب من قد يضرنا. لا يوجد مخرج لنا سوى أن نثبت أن هاته النسوة يقمن بعمل غير قانوني بأي شكل تفهمه الشرطة. يجب أن أثبت ذلك وإلا لن نفلت من انتقامهم في أي مكان أذهب إليه.

- تقصدين أنت ولاشين، أليس كذلك؟

- بلى يا أسامة. أنا ولاشين. لم أسافر معه إن كانت تلك التفاصيل تهمك، ولم أرغم حسن على الرحيل هو ودهبية كي يخلو لنا الجو. دائمًا ما تقول أنك تثق بي، لكن تلميحاتك مُهينة يا أسامة.

يدق باب الكابينة ويأتي صوت عزة متسائلًا:

- هل يتهمك الآن بالخيانة؟ يالوقاحته!

تصرخ سهير:

- عزة! لا تتنصتي عليّ!

يتساءل أسامة:

- من عزة تلك؟ لمن تحكي أسرارنا؟

- أسامة.. سنتحدث لاحقًا.

تغلق سهير الخط والدموع تنهمر من عينيها. كيف ستركز فيما يحدث؟ هل تترك كل شيء وترحل؟ هل ستستطيع الخروج من الفندق والمنتجع من الأساس؟

***

تجلس دهبية على مقعد بلاستيكي في حجرة الأمن، في مواجهة النافذة المطلة على الحديقة. الطيور التي طلبتها تقرقر بلا انقطاع في القفص. ثمة طبق من الإستانلس موضوع على الأرض أمامها، ترش عليه البخور فيتصاعد الدخان.

أبو علا واقف في الركن يرتجف وهو يراقب المدخل، أما ممدوح -الحارس الليلي الآخر- يمارس مهامه العادية مع علمه بما يحدث بالداخل. الرجلان يشعران بمسؤولية ما عن الحديقة وعن كونهما أول من صور المتسللات وحاول تصوير القصر الشبحي، وينتصر هذا الشعور على الخوف، بل ويدفعهما للمخاطرة كي يحافظا على ريادتهما في كونهما المصدر الأول لأخبار الأشباح.

يبدو أن دهبية تحاول إقامة زار مصغر، لكن لأي غرض؟

يسألها حسن عن خطتها فتقول:

- لو أن واروبال ماما هذا كان هنا، فهن يحاولن نقله إلى مكان آخر لسبب ما. الصور التي التقطتها مدام سهير هذا الصباح تقول أنه هناك.. دخان أو ضباب أسود. أعتقد أن شيئًا من أثر واروبال ماما ما زال هنا، ويمكننا على الأقل تعطيل ما تفعله بدر أو إفساده عن طريق الإبقاء على هذا الشيء الدنس مكانه.

- لكنك قلت أنه ليس جنيًا مما كنت تستدعينه في الزار. كيف ستتعاملين معه؟

- ومن قال أن من يحضر الزار جن طيب أومستأنس؟

كلهم شياطين من نوع أو آخر. كلهم يحب الأضحيات وينتشي بالطقوس. أتعرف؟ ربما كنت حقًا لا أفهم شيئًا، لكن اعتبز ما أفعله مجرد تشتيت بأسلوب رن الجرس والهرب قبل أن يفتح الساكن الباب.

- هذا خطر عليكِ.. لقد أخبرتني مدام سهير أنك أصبتِ في زار.

- وما جدوى الحياة وأنا قعيدة؟ ماذا أفعل ومن فعل بي هذا وغدر بي حر طليق، وسيتحرر آخرون من أمثاله؟ ثمة شيء آخر.. مدام سهير كادت تحترق وهي تحاول إنقاذي. لم نكن صديقتين، لكنها هرعت إلي بينما هربت أقرب صديقاتي بعد أن فهمن ما يحدث. أنا مديونة للأستاذة سهير، ومديونة لنفسي.. ولو كانوا سيسمحون لي بدخول هذا الفندق لكنت ذهبت إليها بدلًا من محاولاتي التافهة هنا.

حسب الاتفاق، بدأ حسن يدق الدف وهي تُعدِّل النغمات معه حتى ترافق العزف وترانيمها التي بدأتها بـ:

اللول اللول يا لولية..

بِسحروك يا السمحة الحبشية..

لكن لم يحدث شيء، فقررت دهبية الانتقال إلى دقة أخرى، فسألها حسن:

- لماذا لم يحدث شيء؟

- أنا أستدعي الأسياد الذين كنت أعمل معهم سابقًا كي يساعدوني في استنزال واروبال ماما. أنا لا أعرف دقّته ولا أي شيء عنه.. دعني أجرب دقّة أخرى..

***

الحقيقة منظر الديك المذبوح والحياة تدب فيه كان أكثر رعبًا بالنسبة لي مما يفعل الهدندوي بي. كائن صغير مدمم يصدر منه ما يشبه صوت الزئير. لو أنني أفهم ما قرأت عن الزار، فالمفترض أن الشيطان الذي سيخرج من جسد عروس الزار –التي هي أنا الآن- سيسكن جسد الأضحية. لكني لا أرى أضحية، ولا أعرف ما هذا المخلوق الذي سكنني، لكن الأكيد هو أن ما يحدث لم يكن في حسبان الرجلين.

لا أشعر بالشياطين بداخلي، ولا شيء غيرهم سوى كيان قاتم ملتهب، لا أعرف ماذا يفعل ولا ما هدفه.

يتحدث الرجلان بلغتهما الأم، ثم يقرر واحد منهما أن يجري مكالمة هاتفية، بينما الآخر يحاول انتزاع الخاتم من يدي. لم أكن قادرًا على فعل أي شيء سوى التفكير، وللحظة لم يكن في عقلي سوى ما قالته شياطيني لي من قبل..

هل كنت أصلي لأستعين بالله، أم كنت أصلي لأستعين بهم.

ها هم قد خرجوا وحلّوا بجسد الديك، وهي طريقة مؤقتة للنجاة من هذا الذي سكن في جسدي. لكن إن لم يعودوا إلىٰ سيفنون تمامًا. هذه هي قاعدة العيش في عالم الضياء.

ولأول مرة من سنوات أشعر أنني أنتمي إلى هذا العالم.

كان ما قلته لله سبحانه وتعالى بسيطًا للغاية، وهو أول ما خطر ببالي. همس عقلي كلمة «النجدة» وصدقًا لم أكن أقصد أحدًا سوى الله.

النجدة لسهير.. النجدة لكل من تورط معي الآن، وكل من تورط في شباكي من قبل. كل هذا التعقيد وكل الطرق المتشعبة لا منجى منها سوى الله، والله فقط.

الكائن بداخلي يحاول الاستحواذ على جسدي بعد أن طرد شياطيني، لكنه لا يعرف أي جسد يحاول اختطافه. لا يعرف عني شيئًا، أو هو يعرف ويظن أنه قادر عليّ.

فلتلعب غيرها يا راكب الهجين الذي لا يعرف شيئًا عن الهجين الحقيقي.

لقد خضت لحظة الموت مرات حتى فقدت تسليتها وتشويقها. سأموت أو سأنتصر عليه. لا يوجد احتمال آخر.

الديك يفر من الرجلين ويصمم على أن يخدش وجهي بالذات بمخالبه. خدوش عشوائية لا أعرف سببها، لكن أجد نفسي أرتفع عن الأرض وأتحرك. لا أتحكم في جسدي مطلقًا. أنا أسير فأجد الرجلين الضخمين أمامي. أقول لهما كلامًا بلغتهما، ثم أضرب رأسيهما ببعضهما.

الديك يحاول ملاحقتي..

أفتح باب الجناح وأخرج، ولا أتمنى أن يلاقني أحد.

***

التاسعة مساءً.

أخيرًا استطاعت سهير أن تسترخي، واضطرت لدفع خمسمائة جنيه لعزة كي تغلق الحمام تمامًا وتزعم أنه معطل.

الحجران الباردان يضغطان عينيها. تسمح لنفسها أن تسبح خارج محيط الفندق، وإلى المسرح الواقف وحيدًا في الظلام، يحيطه الضباب ويكاد يغطيه تمامًا.

الصوت المكتوم يصل إليها، صوت الدفوف، آلات نفخ، آلة أخرى إليكترونية خارج سياق المتوقع تمامًا. تحاول سهير تصور شكل القاعة من الداخل حتى تتكون الصورة في عقلها بتفاصيلها الحقيقية.

الحضور يملأ أكثر من نصف القاعة، وكلهم في المقاعد الفاخرة المحاطة بسياج ذهبي. مدير الفندق -الذي عرفت من خلال تنصتها على حديثه أنه صاحب المنتجع- يجلس وسط الحضور وجواره زوجته، التي قد استبدلت فستانها بآخر يشبه العباءة بلون أحمر قاتم، مزينة بأصداف غريبة، وتعتمر قبعة أشبه بالعمامة. لاحظت سهير أن السيدة نحيلة شاحبة غائرة العينين. هي بالتأكيد مريضة بشيء ما.

الفرقة تبدأ بالعزف. الفتيات الأبنوسيات الفاتنات يرقصن بشكل مبهر، هو خليط من الرقص المعاصر والإفريقي. الموسيقا أقرب لموسيقا

الدارك ميتال ممزوجة بالدفوف. الغناء بلغة غير مفهومة.

تقشعر سهير وتدمع عيناها. هذه خبرة قاسية.. أن يتحول لحمك ودمك لأثير يطوف في الهواء. ألا تشعر بثقل عضلاتك ولا دقات قلبك.

تحاول أن تُثبت تركيزها على التشكيلات الباهرة التي تقوم بها الراقصات، ثم تشتعل النار في تصميمات هندسية في مقدمة المسرح ويُطلَق البخور في دخول بدر بصوتها الرخيم المفزع.

المرأة طويلة، وزنها الزائد لا يجعلها كُرة مثل دهبية، بل يحولها إلى جبل صلب مزيد برداء بألوان إفريقية متنافرة متناغمة، مرصع بالأحجار الكريمة والماس.

على رأسها تاج ذهبي ذو قمة مقببة، فتصير نسخة من الظل التي رأته سهير عبر نافذة القصر. هذا على الأرجح نفس التاج القديم، فهل بدر هي نفس الكودية التي كانت ترتديه منذ أكثر من قرن؟

لقد كن ثلاث كوديات في قصر الخديوي هل هناك المزيد من أمثال بدر في مكان ما؟ هل هناك ما هو أسوأ؟

تغني بدر أدوارًا غريبة على أذني سهير التي اعتادت الزار المصري منذ طفولتها. العيون المبهورة بالاستعراض تكاد تقفز من محاجرها.

ثم تطلب بدر باللهجة المصرية أن تصعد عروس الزار إلى المصري منذ طفولتها. العيون المبهورة بالاستعراض تكاد تقفز من محاجرها.

ثم تطلب بدر باللهجة المصرية أن تصعد عروس الزار إلى المسرح، فتقوم زوجة صاحب المنتجع متكئة على ذراع زوجها الذي أوصلها إلى بدر، ثم عاد مكانه.

تأخذ الراقصات بيدي الزوجة ويرشدنها للخطوات الراقصة المطلوبة منها. تضع واحدة منهن في يدها سوارًا، بينما يجلب رجل عاري الصدر حيوانًا لم تتعرفه سهير من كثرة من عليه من زينة ذهبية، ويربطه حيًا

من أطرافه ثم يرفعونه فوق المسرح بالسلاسل

هذا ضبع.. هذا صوت الضباع!

تنزل سهير الحجرين من فوق عينيها وتضعهما في الحقيبة، ثم تنتعل حذاءها الخفيف وبنطالها وتهرع خارجة. تسألها عزة:

- هل انتهيتِ؟

- أجل.. حقيبتي بالداخل. حافظي عليها.

- إلى أين؟

- سأهدم المسرح على رأسه. ادعي لي..

***

تدور سهير حول المسرح محاولة أن تجد إليه مدخلًا. عروس الزار مريضة، لا تعتقد سهير أنها أو زوجها يعرفان ما تدبره بدر، هي في النهاية كودية معروفة لا غبار عليها كمقدمة مواد ترفيهية في إطار الفولكلور. وربما قرر الزوجان تجربة الشفاء بالزار، أو هما يعتقدان في قدرة الزار ورقصه على تفريغ الضغط العصبي الذي لابد أن الزوجة تعانيه. تجربة أخيرة ليائسين.

باب الكواليس يقف عليه الحارس إياه. لو كانت في فيلم أجنبي لضربته على مؤخرة عنقه حتى يفقد الوعي، لكنها لن تصل إلى مؤخرة عنقه مهما فعلت، ولا ضربتها تؤلم طفلًا.

صاحت سهير:

- النجدة.. أحدهم سرق كاميرتي!

نظر إليها الحارس متفاجئًا، من أين جاءت هذه المرأة؟ مع الظلام وتغيير سهير لملابسها لم يفطن إلى أنها نفس المتلصصة. أردفت سهير:

- هو يعدو من هنا! رجاء افعل شيئًا!

بمجرد أن ابتعد الحارس، اندفعت سهير عبر الباب غير عابئة بوجود حرس آخرين بالداخل. فوجئت أن الكواليس أكثر ازدحامًا من الموالد نفسها، ما بين عُمال وراقصين و.. و.. هناك عدة رجال أمن متناثرين هنا وهناك، لكن جسدها الضئيل أخفاها نوعًا حتى أخرجت هاتفها ونظرت عبر شاشة كاميرته، فكتمت شهقة كادت تكشفها.

الضباب يملأ المكان، ويتحرك ببطء في خطوط متلوية كالأفاعي. تراجعت سهير إلى ركن مظلم يحوي مُعدات إضاءة، وراحت تبكي.

ما العمل؟

تلصق ظهرها بالحائط وتحاول الاقتراب من صوت الموسيقا أكثر. راقصات يندفعن داخلات مُتعجلات، فلا يلاحظها أحد. نظرة عبر فرجة الباب المفضي إلى المسرح ترى فيها سهير مقاعد الحضور، وتلاحظ تحت مقاعدهم أشياء صغيرة لم تتبينها.

عروس الزار ترقص في هيستريا. وعشير الضبع يدوي فوق كل صوت آخر.

***

الماء يتدفق تحت قدمي دهبية، فيتراجع أبو علا ذعرًا.

- ماذا يحدث؟!

- دستور يا ست سفينة.. لي عتاب، ولتسويته أريدخدمة. اذبح يا حسن..

بيدين مرتجفين يذبح حسن ديكًا، فقد كان يذبح لجدته منذ كان طفلًا. تتدلى رأس دهبية على صدرها وتزوم.

- ست دهبية؟

تشهق دهبية وتفتح عينيها ثم تحدق إلى العظام التي أخرجوها من الحديقة، كل مجموعة في لفافة مهترئة. تصيح في حسن:

- كم لفافة هنا؟

- لا أعرف.. فوق الأربعين..

- لا بد أن الباقي ما زال في الحديقة، أو في الفندق.

- وجدنا لفافة في أول زيارة، ولا أعرف إن كانت مع أستاذة سهير أم لا.

اللفافات على الأرض تُنبش بأيدٍ خفية، فتصيح دهبية:

- اخرجا.. اتركاني مع الست سفينة وابتعدا عن المكان كله!

***

يقترب جسدي من حقيبتي في الجناح. يفتحها ويخرج ما بها في جنون. جسدي يبحث عن شيء لا أعرفه. أرى من خلال عينيه أن سهير قد فتحت الحقيبة سابقًا لأخذ بطاقة الائتمان ولم تُعِد غلقها.

يجري جسدي في جنون هابطًا سلم الطوارئ، ومنه إلى الخارج، قاصدًا في الظلام مبنى قصيرًا مستقلًا مكتوب عليه بالإنجليزية مسرح رويال كانال.

الكيان في جسدي يندفع متجاوزًا من قتلهم من حراس الأمن. يفتح باب القاعة وينظر إلى الرقص المحموم والضبع المتدلي.

ديدونجي إبيه، واروبال ماما..

سي خوسا إبيه، واروبال ماما..

جآر إم خوسيه.. إم باري نيو بيه..

ديدونجي إبيه، واروبال .. وراوبال ماما..

يسير بين المقاعد حتى يصل إلى آخر صفوف الحاضرين يزيح واحدًا منهم عن مقعده ويركع ليُخرج من تحته لفافة فيها عظام طيور.

عروس الزار تصرخ وتهوى أرضًا تحت قدمي بدر. الرجل عاري الصدر يرمي الضبع بحربة مزينة بالريش، فتصيب عنقه وتنهمر الدماء منه لتغرق المسرح.

يرن جرس إنذار الحريق...

***

تنزل سهير عن السلم الخشبي وفي يدها قطعة الورق التي أشعلتها من سخان كهربي يستخدمه العمال. إنذار الحريق يدوي، لكن هذا ليس كافيًا. ربما إشعال نار حقيقية في مكان خال من الكواليس قد يفزع الناس أكثر.

تلقي سهير الورقة وسط الأخشاب في الركن، وتهرع إلى مدخل خشبة المسرح الخلفي. الفرقة تتوقع عن العزف، لكن الطبول تستمر. بدر وزوجة صاحب المنتجع على الأرض غارقتين في دماء الضبع، لكن ما أفزع سهير أكثر هي حالات الإغماء والتشنجات وسط الحضور. تخرج سهير كاميرتها وتنظر خلالها. الضباب الأسود يزحف تجاه كل من ارتموا على الأرض، بينما يتجه نحوها شخصيًا ثعبان ضبابي أسود. تتراجع سهير للخلف، فيراها جسدي. تصرخ:

- آدم! النجدة!

تهرب من الضباب، وأجد جسدي يعدو نحوها، لا رغبة في مساعدتها، بل سعيًا وراء ما في حقيبتها.

النار تنشب في الكواليس، والماء ينهمر فوق الرؤوس. عدد من الراقصات يتشنجن على الأرض كأن مسًا جماعيًا أصاب الكل، بل إن هناك عددًا من الموتى بلا سبب واضح.

تنظر لي سهير ثم إلى كاميرتها وتهتف:

- أنت لست لاشين!

أنا لست لاشين؟ من أنا إذًا؟ ولماذا فقدت التحكم في جسدي؟ ولماذا أريد لفافة العظام التي أخذتها سهير من حقيبتي؟

***

لفافات العظام تتحلل أمام ناظري حسن وأبي علا اللذين رفضا التخلي عن دهبية.

- ست دهبية، هيا معنا.. اتركي كل شيء.

- كلا يا أبا علا.. لن يعود واروبال ماما لو تخلصنا من«الأتن». الست سفينة ستخلصنا منه، لكن باقي الثمانية وثمانين لفافة ليست هنا. الست سفينة غاضبة، لكني أقسم أنني لم أقصد خداعها.. لم أكن أعرف أن...

الماء على الأرض يغلي. يهرع حسن إلى دهبية هاتفًا:

- احملها معي يا أبا علا.. هيا!

- ارحلا! لا تمسَّاني!

العرق على جسد دهبية يغلي والبخار يتصاعد منها. يلف حسن ذراعيه من تحت إبطيها ويجرها على الأرض. أما أبو علا فقد تجمد مكانه عند المدخل.

تصرخ دهبية ويكتم حسن ألمه إثر تناثر الماء المغلي الذي يتدفق من الأرض...

***

يعدو جسدي خلف سهير في ممرات الكواليس المعبقة بالدخان. أنا أطول وأسرع، تتقلص المسافة بيننا. أجذبها نحوي فتتعثر. يحملها

جسدي ويعود بها إلى المسرح.

تقوم بدر واقفة مترنحة غارقة في الدماء. تفتح عينيها وتنظر حولها، ثم تبتسم في جشع وهي ترى الحضور يقومون من إغماءاتهم، ويسيرون نحوها. من يصل منهم يركع أمامها في خضوع. يضع جسدي سهير على الأرض جوار عروس الزار التي يبدو أنها ماتت، ثم أركع أمام بدر وأقول:

- مات من مات، وتحمَّل من تحمَّل. هذه المرأة معها أتر واحد من الثمانية والثمانين..

أجذب قلادة الودع من عنق المرأة الميتة، وأطوق به عنق سهير، ثم أفتح حقيبتها وأخرج منها لفافة العظام.

- الآن هي جاهزة لاستقبال أحدنا. في غضون دقائق سيصل المبعوثون من أرض الحديقة، وسيجدون أجسادًا في انتظارهم.

يشير جسدي إلى الحضور الذين لم يفيقوا بعد من تشنجاتهم، ثم أضيف:

- عدد الأتر هنا خمسة وأربعون واحدًا، قادر على جذب باقي الخدم..

تنتفض سهير ويبدو أنها تفقد وعيها ليحل محله واحد منا، خدم واروبال ماما. أسمع صوت زئير مخنوق من خلف الستائر، ثم يظهر الديك اللعين وقد احترق ريشه لكنه ما زال عنيدًا. تصيح بدر بصوت واروبال ماما:

- ما هذا؟!

- شياطين حبيسة.. سأحرقها بـ...

قبل أن أكمل عبارتي، يقفز الديك ليخمش وجهي ويتحرى جبهتي. أسمع شياطيني تُلِح:

- «الرمز يا آدم! اثبت حتى نحفره لنعود!»

الرمز الذي كنت أرسمه لأستقبل الشياطين في جسدي! لم أكن أعرف أن شياطيني تتعلم الحيل بهذه السرعة.

***

ما أن تصل السيارة المتحف، حتى يندفع شريف خارجًا منها إلى حيث حسن الجالس جوار دهبية فاقدة الوعي على الرصيف.

- شريف.. الأنذال أبو علا وممدوح طردانا خوفًا من المسؤولية!

- لا عليك.. هم أيضًا لديهما حق.

يخرج أسامة واهنًا من السيارة، ويهتف حين يرى دهبية:

- شريف، انقلها إلى المستشفى، وأنا سأذهب لأمك.

- بل أنا من سيذهب. ألا ترى حالتك؟ سأوقف لكم سيارة أجرة.

- شريف!

يقول شريف سريعًا:

- حسن، دع الأطباء يكشفون على أبي ويقيسون ضغطه. لا أظنه بخير.

يصيح أسامة وقد احمر وجهه:

- ولد يا شريف! هل نسيت نفسك؟ اذهب مع حسن ودهبية.

وقبل أن ينطق شريف، يدور أسامة حول السيارة ويركب خلف المقود، وينطلق وهو لا يكف عن الاتصال بسهير. يتذكر كل كلمة قالها لها في مكالمتهما الأخيرة. لن يتحمل أن يفقدها. لن يتحمل أن تفارقه أبدًا.

حين وصل أخيرًا، وجد سيارات الإسعاف والإطفاء تقف أمام مدخل الفندق.

***

أسقط أرضًا، ويفقد الكائن اللعين السيطرة على جسدي. أول ما أفعل هو أنني أمسك كف سهير فاقدة الوعي. الدماء تنزف من جبهتي، وشياطيني تتسلل عائدة إليّ.

راكب الهجين يخرج من بين مسامي.. يحرقها. العرق يتصبب مني. ماذا يحدث؟ الرجال والنساء الذين كانوا راكعين حول المسرح يفقدون الوعي، وبدر تنظر حولها وتصرخ:

- أين باقي عبيدي؟! يا راكب الهجين، أين ذهبت؟

تهوى أرضًا هي الأخرى، بينما تفتح سهير عينيها وتنظر حولها في وهن. الضبع الميت فوقنا يرتجف فتهتز السلاسل الحديدية التي تربطه بالسقف. أجذب يد سهير أجذب يد سهير وأدفعها عن المسرح وألقي بنفسي جوارها، في ذات الوقت الذي يسقط فيه الضبع وينفجر في الهواء قبل أن يمس الأرض. تهمس لي شياطيني:

- «آدم.. واروبال ماما ما زال هنا، هو وثلاثة وأربعون من عبيده، لا يجدون أجسادًا..

آدم، باقي العبيد قد فنوا، ولن يتجسد واروبال ماما دون اكتمال عدد عبيده..

آدم.. هذه فرصتك.. التهم الموجودين!»

أقوم مترنحًا فأفتش بذلة أحد فاقدي الوعي بحثًا عن هاتفه المحمول، أفتحه وأدسه في كف سهير وأقول لها:

- سهير.. أين واروبال ماما؟

تمسك سهير الهاتف بيد، وبالأخرى تسند رأسها. تنظر عبر كاميرته، فأنظر معها..

ثعابين من الظلال تسعى بين فاقدي الوعي. السقف محاط بحلقة

ضبابية تدور في غضب. أترك سهير التي يبدو أنها ستفقد الوعي قريبًا. أجمع ما استطعت من لفافات العظام. ماذا يجب أن أفعل؟ كيف سأبتلع تلك المخلوقات؟ هل هي شياطين؟!

هل يجب أن يكون معي باقي اللفافات المفقودة؟

- «آدم.. هل ستتركم يفرون؟»

- ماذا أفعل؟! ما هم أساسًا؟ لماذا لا أستطيع جذبهم لي بالرمز على جبيني؟!

أفكر فيما يمكن أن أفعل. هذه فرصتي لتجربة كيانات كهذه. أصيح في سهير:

- من أين يأتون؟ ألا توجد بوابات هنا؟ انظري جيدًا حولك!

تدور سهير بالكاميرا، ثم تشير نحو الضبع في وهن. أصعد درجات المسرح وأركع وسط أشلاء الحيوان. ثمة رموز محفورة على عظامه. ما هذه الرموز؟

- سهير؟ أين البوابة؟

تغمض سهير عينيها. لا وقت للإغماء الآن. أنا أعمى بدونها. دسست قطعة عظام في جيبي، وعزمت على أن أعود إليها فأجد طريقة لأعيد إليها الوعي.

- «آدم.. الضبع يذوى.. يتحلل..»

يقتحم رجال الإطفاء المسرح من ناحية الكواليس. يتوقف الجميع للحظات وهم ينظرون إلى الدماء في كل مكان.

- ماذا حدث هنا؟!

تقول سهير في وهن:

- الحريق.. فقدنا الوعي من الحريق ولا نعرف ماذا حدث..

من خلف رجال الإطفاء يظهر أسامة، وقد التهمت النيران جزءًا من طرف قميصه. راح يدفع من يمنعونه عن الاقتراب وهو ينادي:

- سهير! أين أنت؟

وبينما أنا واقف أصرخ في حنق محاولاً الظفر بكل تلك الشياطين، وجمع أشلاء الضبع. تندفع سهير -وقد دبَّت فيها الحياة- نحو أسامة وترتمي بين ذراعيه. تغوص في جسده الضخم حرفيًا، فيمسك رأسها ويحتضنه، ثم يتهاوى على ركبتيه قابضًا على صدره. فتصرخ سهير:

- الإسعاف! أنقذوه!

***

الإسماعيلية

التاسعة والنصف صباحًا.

تجلس سهير وحسن على فراش دهبية في عنبر الحروق، لكن هذه المرة في مستشفى الإسماعيلية العام.

- أنت أنقذتنا يا دهبية.. لولا ما فعلتِ لحضر أعوان واروبال ماما واكتملت عودته.

- أنا رددت بعضًا من دينك يا مدام سهير. كنت أتمنى لو لم ينقذني هذا الشاب الذي يشرح القلب ويصب بتلك الحروق من أجل امرأة تفضل الموت على الحياة المهينة التي أعيشها. الست سفينة لم تعجبها الأضحيات، لكن من أين لي بالجديان والعجول؟ عمومًا.. أنا سعيدة أنني أثرت حنقها.

أقف جوار الباب وأنا أداعب خاتم الزيران في كفي. تُرى هل له أي فائدة؟ يسألني شريف:

- ومن هو الهدندوي هذا؟

- لا أعرف.. يبدو أنه ذراع واروبال الأيمن.. السؤال هنا، لماذا استحضروه فيّ؟ هل طمعت بدر في جسدي؟

- أعتقد أن الرجلين قد أخطآ في شيء، لذا قتلهما الهدندوي. أسياد الزار قد يقتلون من يقيمونه. أنت رأيت ما حدث مرتين لدهبية. ألقت الشرطة القبض على بدر وما تبقى من فرقتها، وشهد صاحب الفندق أن الحفل الترفيهي الذي اتفق عليه قد تحول إلى طقس شيطاني أدى إلى مقتل زوجته التي كانت ترغب في حضور زار من باب تفريغ الهم الذي أصابها جراء مرضها. الحمد لله لم يشك أحد في وجودك وأمي. اعتبروكما ممن حضر الحفل لا أكثر. المهم، شياطينك أصيلة.

- بل أنانية.. كانت تحافظ على وجودها لا أكثر. أعتقد أنني صرت مثلها بشكل ما.

تردد شريف قبل أن يبتعد عني، ثم قال وهو ينظر إلى الأرض:

- أعتقد أنك صرت مثلها، وأرى أن علاقتك بأمي يجب أن تنتهي عند هذا الحد. رسائلك لها لا تليق. وجودك في حياتها كاد يقتل أبي. ابتعد يا آدم، وإلا سأبعدك أنا.

لا أعرف كيف سيبعدني، لكن تهديده كان صادقًا. تركت شريف وأنا أفكر في اللحظات التي أمسكت فيها بكف سهير، وبدلًا من أن أحملها خارجًا من المسرح الذي يحترق، دسست في يدها هاتفًا كي ترى فيه مكان الشياطين التي رغبت في ابتلاعها.

يا لي من حقير..

أقف على الرصيف المقابل للمستشفى، أنظر إلى شريف وحسن وأسامة يركبون السيارة، ويبدو أن الأخير سيكمل فحوصات القلب في طنطا، فقد أصيب بأول أزمة قلبية في حياته.

لو كانت سهير زوجتي، وشريف وحسن أبنائي، لكنا الآن نركب معًا متجهين إلى بيتنا، حيث سنسترجع الذكريات ونوثق مغامرتنا.

أعرف أن الأربعة ظلوا صامتين طيلة الطريق، وكلهم يحمل في صدره تساؤلات عن تبعات طيشهم، وضغطهم على أنفسهم وعلى الآخرين. يتساءل شريف إن كان أنانيًا لأنه طلب مني الابتعاد عن أمه، ويتساءل حسن إن كان قد فضَل تلميع صورته أمام نفسه على حساب قلق جدته. أما سهير وأسامة، فتساؤلاتهما أخطر بكثير..

تذكر انك حملت رواية لاشين 7 دقة ليل حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

***

حين وصلوا، صعد شريف وحسن إلى الشقة، بينما ظلت سهير وأسامة في السيارة. قال الأخير وهو يحدق إلى المقود:

- سهير.. أحتاج إلى إجازة..

- بالتأكيد. حالة قلبك مُقلقة و..

- لا أقصد إجازة من العمل بل منا. من زواجنا سهير، أنت تعرفين أنني لا أحب أي شيء في العالم مثلك، ولا أتحمل فكرة أن أظل قلقًا عليكِ طيلة الوقت، ولا أن أتحمل غيرة مستمرة من وجود نصف شيطان يحبك.

لا أظنني أنانيًا كي أطلب منك أن تكفي عن فعل ما تحبين، فأنا أثق بك. لكني لا أستطيع التحمل.

- أسامة، أنت فقط مرهق. دعنا نحاول أن نتحدث...

- دعينا نحاول أن نبتعد قليلًا. هذا بيتك طبعًا. سأسافر عند الحاج

محمد الصاوي بعد الامتحانات، ولنرَ بعدها ماذا سنفعل.

تخرج سهير من السيارة واجمة، وتتجه إلى مدخل البناية البارد، لا يتردد في ذهنها سوى صوت إلفيس كوستيلو يغني:

«ربما هي الجميلة و الوحش..

ربما هي اليُسر و المجاعة..

ربما هي قادرة على تحويل كل يوم إلى جنة أو جحيم...

ربما هي مرآة أحلامي..

ابتسامة منعكسة على صفحة ماء..

ربما هي ليست ما تبدو عليه لنفسها...»

النهاية.